1 me, année No 925

Le Caire 26 — 3 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٢٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — ٢٦ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

٧- الدين والسلوك الإنساني

للأستاذ عمر حليق

النتائج الاجتماعية للاختبار الديني

١ — الجماعة الدينية

للجماعة الدينية على حد تعبير (أ. هولت) (١) « تاريخ خاص وصعيد خاص وكيان اجتماعي خاص وخصائص وسلوك وأهداف وغايات خاصة »

ولهذه الجماعة في النظام الاجتماعي وظيفة مزدوجة. فهي بحكم هذا الوضع الخاص تلعب دورا كبيرا في صيانة النظام الاجتماعي الذي تعيش عليه، تدمج بعضه ببعض في تكافل محكم متين، وتوجهه توجيها عمليا إيجابيا على أسس العقيدة والطابع الديني الذي تدين به هذه الجماعة

وهي في الوقت نفسه وبحكم هذا الوضع الخاص تؤثر تأثيرا سلبيا في ذلك النظام، فهي تضمن التكافل الاجتماعي للفئة التي تندمج في تلك الجماعة تشوب طبائعهم وسلوكهم ومشاريعهم وأهواءهم وحياتهم الروحية والعملية في قالب خاص يتفق والتعاليم الدينية التي تؤمن بها. وبذلك تفصلها عن الفئات الأخرى في النظام الاجتماعي الأكبر الذي تعيش فيه وقد تخلق من جراء ذلك تشويشا في العلاقات الإنسانية. وتاريخ الحروب الحديثة شاهد على مبلغ الصدق في هذا التعريف. وقد يكون هذا التشويش في صالح المجتمع الإنساني أو قد لا يكون. وليس المقام مقام شرح سماحة الأديان (والإسلام على وجه الخصوص) إزاء الديانات الأخرى. فلهذه النقطة مجال آخر سنعالجه في مكان آخر من هذا البحث

فلقد سبق ورأينا أن في السلوك الديني عناصر قوية تؤثر في الحقائق الاجتماعية. والجماعة الدينية التي حددناها في مستهل هذا المقال هي المادة الخام التي تتيح لنا دراستها التعرف على الأثر السلبي والإيجابي التي تتركه في النظام الاجتماعي

فلقد قام الإسلام مثلا في جماعة محدودة من الناس وفي صعيد معين وفي قوم كان لهم خصائصهم ومقوماتهم الخلقية وأساليبهم في حياة الروح والجسد، وكان لهم كذلك أهدافهم وغاياتهم

ولم ينتشر الإسلام في مثل هذه السرعة العجيبة إلا لأمرين: أولهما: تمكنه من صياغة روح الجماعة العربية أهل يثرب ومكة ومن حواليهما في قالب محكم متين كان علما على الجماعة الدينية الإسلامية في أدق معانيها

وثانيهما: — أن العقيدة والتعاليم التي آمنت بها تلك الجماعة

(١) A E Halt The Sources and Methods of Sociology of Religion

العربية إيماناً صادقاً وحملتها إلى المشرق والمغرب فيما بعد — هذه التعاليم لم تجد هذا القبول السريع الصادق في المشرق والمغرب إلا لأنها كانت أقرب إلى الحقائق الاجتماعية وأنفع لحاجاتها من التعاليم الدينية الأخرى التي جاءت التعاليم الإسلامية لتنافسها في مجال الإصلاح

والتكافل الاجتماعي الذي يحققه الدين في الجماعة التي تؤمن به يتوقف مدى وثوقه وسرعة نموه على مبلغ الصدق في الاختبار الديني عند تلك الجماعة . فالمزة الإلهية هي محور الأديان السماوية ؛ والاختبار الديني الصادق يستمد منها مزيداً من القدرة على تنظيم السلوك الإنساني في شكل يتفق وما أمر الله به وما نهى عنه . فإذا شمل ذلك الاختبار الكثرة من الجماعة استقام سلوكهم وتوارت عناصر الشقاق الاجتماعي من بينهم ليحل مكانها تكافل منسقة أصوله مبينة أهدافه ومراميه لأنها من عند الله خالق الكون ومهندسه الأعظم .

وسرعة نمو التكافل الاجتماعي في الجماعة الدينية يتوقف كذلك على تحديد التعاليم الدينية لأسس ذلك التكافل . فمن الأمور التي ينفرد بها الإسلام على غيره من العقائد أن القرآن والحديث قد حددا كثيراً من أوجه السلوك الإنساني تحديداً شاملاً دقيقاً

ونستشهد بالسيد محمد رشيد رضا هنا معجبين للدلالة على تحديد الاسلام لوظيفة الدين في التكافل الاجتماعي . فقد صنف رحمه الله في كتابه « الوحي المحمدي » مقاصد القرآن في عشرة هي :

المقصد الأول: — في حقيقة أركان الدين وهي الإيمان — العقيدة — البعث والجزاء والعمل الصالح وتهذيب الأخلاق والنهي عن اتباع الهوى والترغيب في التقوى والإرشاد إلى العبادات

المقصد الثاني: — بيان ما جهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسول ، والإيمان بالقدر والسنن المسلمة وآيات الله الخالصة والخطر على البشر من ارتقاء العلم بدون الدين

المقصد الثالث : — كون الإسلام دين الفطرة والعقل والفكر والعلم والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال

المقصد الرابع : — الإصلاح الإنساني والاجتماعي والسياسي الوطني بالوحدات الثمان : — وحدة الأمة و(الإنسانية) والدين والتشريع والأخوة الدينية والجنسية السياسية والقضاء واللغة

المقصد الخامس : — في مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة . وقد حصر السيد رضا رحمه الله هذه المزايا في عشر هي : — الأولى كونه جامعاً لحقوق الروح والجسد (الثانية) كونه غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة (الثالثة) كون الغرض منه التأليف بين البشر وهو يعني بذلك ما اصطلح علماء الاجتماع على تسميته بالتكافل الاجتماعي (الرابعة) كونه يسرا (الخامسة) منع الغلو في الدين وإباحة الطيبات والزينة (السادسة) قلة تكاليفه وسهولة فهمها (السابعة) انقسام تكاليفه إلى عزائم ورخص (الثامنة) كون نصوصه مراعى فيها درجات تفاوت البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها (التاسعة) معاملة الناس بظواهرهم (العاشرة) مدار العبادات على الاتباع المحض وأحكام المعاملات على المصالح مع مراعاة النص

المقصد السادس : — في حكم الاسلام السياسي نوعه وأساسه وأصوله العامة

المقصد السابع : — في الإصلاح المالي والحقوق المفروضة والمندوبة في المال والإصلاح فيه

المقصد الثامن : — في إصلاح نظم الحرب وفلسفتها

المقصد التاسع : — في إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية الدينية والمدنية

المقصد العاشر : — في هداية الاسلام في تحرير الرقيق

هذه الخطوط الرئيسية التي جملها السيد رضا رحمه الله محور شرحه لوظيفة الاسلام أشبه بباقة مبعثرة زهورها تحتاج إلى التنسيق في آنية لطيفة المنظر جميلة الصنع يضاف إليها غصون رطبة من الأخضر اليانع ليكسبها عذوبة وسلامة تتفق والذوق الذي تربى في قرار العربية هذه الأيام

والأسلوب العلمي الحديث في البحث والاستقراء يوفر للباحث هذه الآنية ويسهل عليه تنسيق تلك الزهور وإحاطتها بالغصون الرطبة الخضراء

وقد لمس كاتب هذه الأسطر — كما لمس غيره من الذين أتيح لهم دراسة مناهج البحث المعاصرة — أهمية الذخيرة النافعة التي تتوفر في المراجع الاسلامية القديمة منها والحديثة وما

الشعراء المجازون

الكلمة التى ألقيت فى الاحتفال الذى أقامه مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية عصر الخميس الماضى لتوزيع جوائزه على الفائزين

أعلن المجمع فى العام الماضى مسابقة فى الانتاج الأدبى شملت الشعر والقصص والبحث، فتقدم إلى حلبة القريض منها عشرة من شعراء الشباب أمتعوا لجنة الأدب حيناً من الزمن بأغاريد متسقة الوزن منسجمة اللحن صافية الرنين ، ولكن فى بعضها التوقيع المتنوع، وفى بعضها الترجيع التجانسى. فاستمعت اللجنة إلى الأصوات جميعاً ؛ ثم أرهفت أسماعها لثلاثة من هؤلاء الشعراء رأت أنهم خرجوا من فناء العش إلى فضاء الأفق ، وجاوزوا طور الزقزقة إلى طور الشدو . فسمعت الأول يقول

دجى النيل ليل فاستطال هجوده
وأورث جنبيه كلالا رقوده
بساتينه باتت نواعس حوله
وأغفت بها أطياره ووروده
فلا ساجعات الأيك فيها صوادح
ولا الورد لذ النفح ريان عوده
ولا النبت مطراف على الأرض سابغ
قشيب ولا صوب الربيع يجوده
ولا الصبح طلق الوجه نضر ولا الضحى
ضحوك السنا ضاحى المحيا سعيده
ولا النيل تأتيه إذا نصل الدجا
صباياه يملأن الجرار وغيده

* * *

فلما دجا ليل الخطوب توثبت
تهائم واديه وهبت نجوده
وفتح عينا فى الدنا فإذا بها
مضى مجده منها وولى تليده
وأغرى به أهل الطماعة أنهم
غزوه فلم تزأر عليهم أسوده
فنادى بنيه الغر هبوا فأوفضت
جحاجحه المستقتلون وصيده
أهاب بشطريه فلباه بيضه
سيوفا جرى فيها الشباب وسوده

وسمعت الثانى يقول :

يحيط بتلك الذخيرة من مقصد اللفظ والمنطق شكل يطمر بعض ما فيها من كنوز ويشوه ما فيها من جمال المغزى والمعنى «١»

على أن الذى يعنينا من استعراض أثر السيد محمد رشيد رضا الجليل هذا هو لفت النظر فى إشارة عابرة إلى تحديد الاسلام لأسس التكافل الاجتماعى تحديدا يكاد يكون شاملا ؛ وذلك ما مهد لذلك التكافل سرعة النمو فى الجماعة الاسلامية، ذلك التكافل الذى لا تزال بعض أسسه تربط العالم الاسلامى برباط اجتماعى وروحى كبير الأهمية . وما التفكك السياسى والاقتصادى الذى لازم تاريخ الشعوب الاسلامية منذ أفول نجم الامبراطورية الاسلامية إلا وليد الوهن الذى أصاب مفهوم الناس وسوء ممارستهم للتعاليم الاسلامية ؛ وليس مرجع هذا التفكك وهن التعاليم نفسها

* * *

قلنا إن وظيفة الدين لتحقيق التكافل الاجتماعى فى الجماعة الدينية تتوقف على صدق الإيمان والاختبار الدينى لدى تلك الجماعة ، وعلى تحديد العقيدة الدينية التى تدين بها الجماعة لأسس ذلك التكافل .

ولا شك أن سلامة العقيدة الدينية وصيانتها من التحوير والتبديل شرط أساسى لحفظ ذلك التكافل الاجتماعى وهنالا يعنى الجمود والتعصب وإقفال باب الاجتهاد

نيويورك «ابحث صلة» **عمر حليق**

«١» توفر كاتب هذه السطور فى السنوات الأخيرة على دراسة قسم من هذه المراجع الاسلامية ليستعين بها فى وضع أطروحة الدكتوراه عن «تعاليم الاسلام والمشاكل الاجتماعية» بجامعة كولومبيا فى نيويورك
Muslim Ethics and the Socialproblem
٢٦ ، ٣٦

أبناء مصر ضنيت مما أكتوى
لا الصبر فى طوق ولا إجماله
برح الخفاء، فما النقاب بمسدل
كلا ولا من حكمة إسداله
أدواء مصر أقامها قتالها
فزن المصير ولا يفتك وباله
الطير تلزم قبل عصف رياحها
والقطر ينبئ إن دنا هطاله
وعجيب قومى أن أنوء بنصحهم
والنصح أدهى ما دهى اهماله
عزت هداياتهم على بموطن
المرء فيه جاهه أو ماله
لا أصغراه قلبه ولسانه
بل أكبراه عمه أو خاله

وسمعت الثالث يقول:

قد صحونا اليوم من طول الهجوع ... ونفضنا النوم عنا والكرى
بعد ما أصبح وادينا النبيع ... مرتعاً يرعى به كل الورى
وحسرنا الستر عن أبصارنا ... لنرى الدنيا وما صارت إليه
فاذا المجد الذى كان لنا ... قد طواه الناس واستعلوا عليه
وإذا من كان غفلا فى الثرى ... قد سما بين الورى وارتفعا
وتوانينا فعدنا القهقرى ... وخسرنا اليوم والأمس معا
فارتقب يانيل إنا سنعيد ... ما مضى من تالد المجد وغاب
واهتفى يا مصر بالماضى المجيد ... فغدا يحيا على عزم الشباب
نحن أبناء الفراعين الألى ... ملكوا الدنيا وشادوا الهرما
وعلوا بالمجد آفاق الملا ... وتخطوا فى الخلود الأمما
وسليل المجد لا يرضى الصغار ... أو يطيق الضيم يطغى فى جماه
وإذا ما هاجه الظلم فثار ... هانت الدنيا عليه والحياه

ثلاثة أصوات تتفق فى الموضوع والغاية، وتختلف فى الشكل والطريقة: شعر الأول جزل اللفظ فخم العبارة محكم السرد، يجرى أكثره فى البحور الطويلة، ويؤثر لغة الأولين فيذكر الموامى والنجود والجحاجح والصيد. وشعر الثانى والثالث مأنوس الكلام، سلس الأسلوب، متنوع القوافى، حتى ليسبق إلى ظن القارئ أن هناك مذهبين للتعبير: قديماً اتبعه صاحب «الأنداء المحترقة» وجديداً اتبعه أخواه صاحب «أدب الثورات القومية» وصاحب «وحى الشباب»، وهى الدواوين الثلاثة التى أجيزت. فهل فى تاريخ الشعر العربى ما يسوغ هذا الظن؟ الواقع أن ليس للقديم والجديد فى الأدب العربى ما لهما من الدلالة فى الآداب العالمية الأخرى: قديم الفرنسية أو الانجليزية مثلا قد استحال أو اندرس، فلا يستعمل اليوم، وإذا استعمل لا يفهم، وإذا فهم لا يقبل؛ لأن هاتين اللغتين تطورتا مع الزمن تطوراً شديداً حتى اتسع الخلاف بين حاضرهما وماضيهما فى النطق والنحو والبيان. ثم تغيرت عقلية قوميهما بتقدم العلوم وارتقاء الحضارة فتغيرت الأساليب؛ واختلفت طبيعة أدبيهما لاتصالها بحياة الناس عن طريق القصص والتمثيل فاختلفت المذاهب. أما قديم العربية فهو جديد أبداً، وأما جديدها فهو قديم أبداً. لا نجد فرقاً جوهرياً بين أساليب القرن العشرين وأساليب القرن السابع: الألفاظ هى الألفاظ، والنسج هو النسج، والاعراب هو الاعراب. فما يمتعنا من خطب زياد وسحبان وشبيب، هو ما يمتعنا من خطب النديم ومصطفى كامل وسعد زغلول. وما يعجبنا من نثر الجاحظ وأبى حيان والبديع، هو ما يعجبنا من نثر المازنى والمنفلوطى والمويلحى. وما يطربنا من شعر البحترى وأبى فراس والمتنبى، هو ما يطربنا من شعر البارودى وشوقى وحافظ! كأنما نشأ هؤلاء جميعاً فى عصر واحد وشبوا على ثقافة واحدة! ولعل تعليل ذلك أن الشعر الجاهلى بأصالته، والقرآن الكريم ببلاغته، والدين الإسلامى بثقافته، هى العناصر التى يتألف منها المثال الفنى الذى يحتذيه الكاتب والشاعر، فما تفرق متفرق إلا اجتمع عليه، وما تباعد متباعد إلا رجع إليه. فالشعر الجاهلى أقام عمود الشعر، والنثر القرآنى أقر أسلوب الكتابة، والأدب الدينى طبع الفكر العربى بطابع الرزانة والهدوء والسلفية؛ فهو لا ينفك يستهدى الوحى، ويسترشد السنة، ويستمهل الطفرة، ويستريب البدعة، ويصبغ نتائج القرائح المختلفة فى الزمان والمكان بلون من التصور والتصوير لا يكاد يختلف ولا يتغير. فلو أن الزمان تأخر بالمتنبى ألف سنة لكان من الممكن أن يكون شاعر الخديو عباس. ولو أنه تقدم بشوقى ألف سنة لكان من الجائز أن يكون شاعر

سيف الدولة. وما نظن المصريين كانوا يقولون إن شعر المتنبي قديم، ولا الحلبيين كانوا يقولون ان شعر شوقي جديد!

إنما كان الاختلاف بين شاعر وشاعر، أو بين عصر وعصر، في الصور التي تلهمها البيئة والثقافة والحضارة، وفي الألفاظ التي تقرب أو تبعد عن لغة الجمهور ومألوف المجتمع. فبعض الشعراء يغترفون من قاموس المكتبة ولغة القرآن؛ وبعضهم يرتشفون من قاموس الجيب ولغة الصحف. والاختلاف على هذا النحو اختلاف في الشكل. والشكل حكمه حكم اللباس والأثاث والآنية، يتغير بتغير المكان والزمان والحالة. وما كان لأحد أن يختلف أو يختصم فيما لا حيلة فيه. ولكن النقاد الأقدمين جعلوا من اختلاف هذه الأشكال معركة بين القديم والجديد أداروها على اللفظ الجزل والركيك، والأسلوب الصفيق والمهلهل، والمعنى المسروق والمطروق، والمطلع الجيد والرديء، والتخلص الحسن والقبيح. وعذرهم في ذلك أن الشعراء لأسباب فطرية واجتماعية لم يقدموا إليهم إلا نوعا واحدا من الشعر هو ما يتصل بالوجدان والعاطفة؛ فكان النقاد أمام وحدة الشعر العربي ونقصه، مسوقين إلى أن يقصروا جهودهم على لفظه. فلو أن الشعراء ألهموا أن ينظموا في القصص الحكائي والتمثيلي، لاختلفوا في الموضوع وما يصدر عنه من أغراض، وفي الينبوع وما يؤدي إليه من مسالك؛ كما اختلف فيهما الشعراء الفرنسيون فظهر في أدبهم الاتباعية والابتداعية والواقعية والرمزية وغيرها من المذاهب المقبولة والمرذولة. ولم يسمع التاريخ فيما سمع أن العرب اختلفوا يوم تركوا علبة الخشب إلى زق الجلد وكوز الفخار وقدح الزجاج وجام الفضة، لأن الموضوع وهو الماء أو اللبن لم يتغير بتغير الآنية؛ ولكنه سمع أن الخلاف حدث وأن الرأي تشعب حين تغير الشراب من اللبن إلى الخمر. فالقول بأن في الشعر العربي قديماً وجديدا وهو لا يزال واحدا في لغته وطريقته ونوعه ووزنه قول مدفوع بالواقع. ولقد صدق شوقي إذ يقول

ما فيه عصري ولا دارس   الدهر عمر للقريض الأصيل

° ° °

على هذا الوجه أيها السادة نظرت لجنة الأدب بالمجمع في أشعار الثلاثة السابقين فرأت الشاعر كالا النجمي صاحب الأنداء المحترقة يأتي في الحلبة مجليا لفخامة ألفاظه ورصانة أسلوبه ومتانة قوافيه ووضوح معانيه وقلة سقطه وندرة خطئه، وهي الصفات الفنية الجوهرية التي يطمع المجمع في أن تشيع في شعر الشباب. لذلك خصه بالجائزة الأولى. والأستاذ النجمي يقول إنه من قبيلة أولاد نجم من عرب الصعيد، وإن أباه كان من رجال الدين واللغة والشعر فوجهه هذا التوجيه الأدبي الخالص. وأبى عليه أن يستقي ثقافته الأدبية من غير مشارعها الصافية الأولى، فحفظ القرآن الكريم، وقرأ كتابي الأغاني والعقد الفريد، ودرس ديواني البحتري والمتنبي. وفي هذه البيئة وتلك النشأة نجد تعليل الجزالة والسلامة اللتين عز بهما شعره على الرغم من وقوفه في الدراسة عند حدود المرحلة الثانوية. وقد أخذ ينظم ديوانه المجاز وهو في الثامنة عشرة من عمره، ثم أتمه وقد نيف على الثامنة والعشرين. وشعر الديوان وجداني محض، استمده الشاعر من طبعه، ونقله عن قلبه، وعبر به عن شعوره؛ فليس للقصص والتمثيل منه نصيب. وقد طغى فيه حديث الشاعر عن نفسه، على حديثه عن غيره، فقل في السياسة والوطنية والاجتماع، وكثر في الحب والشوق والحنين والذكرى والألم والحزن. وأفكاره وصوره وأخيلته في كل أولئك جيدة، ولكنها في الوصف والشكوى والرثاء أجود

° ° °

ثم رأت اللجنة على مسافة قريبة من الشاعر المجلي شاعرين يعدوان جنبا إلى جنب وقد كادا يبلغان الأمد، أحدهما الأستاذ محمود محمد صادق صاحب (أدب الثورات القومية) والآخر الأستاذ فريد عين شوكة صاحب (وحي الشباب)؛ فالشاعر محمود صادق ولد بالقاهرة في العام الأول من هذا القرن، ثم تخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٤ وكان من الطلاب الأولين الذين أوضعوا خلال الثورة المصرية المباركة، يورثون نارها بالخطب، ويسعرون أوارها بالشعر، ويرفعون صوتها بالتظاهر. فنظم فيها ديوانا نشره في سنة ١٩٢٣، وكان وهو في سن اليفاعة يقول الشعر من غير علم بأوزانه، ولا معرفة بقواعده. وقد علل ذلك بعض من كتبوا عنه بخلوص العروبة في دمه، لأن لوالديه نسبا في بني العباس. وبهذه الروح الثورية المشبوبة نظم النشيد الوطني في سنة ١٩٣٦ ونال عليه الجائزة الأولى. ثم اتجه شعوره إلى

العروبة والإسلام حين تجددت فى فلسطين مأساة الأندلس ، فوضع للعرب نشيدا ونظم فى كارثتهم مطولة . ولم نكد نقرأ له فى غير الأحداث المصرية والعربية شيئا . الشاعر قوى الشاعرية عصى الأسلوب حامى العاطفة نبيل الغرض ؛ ولكن قيثارته كربابة الشاعر الشعبى ترسل الأنغام من وتر واحد ، وذلك ما يطأ به عن الغاية . والأستاذ صادق يسمى قصائده الطولات التى قالها فى الثورة المصرية وفى الكارثة الفلسطينية ملاحم . وهذه التسمية من الوجهة الفنية خطأ ؛ لأن القصيدة لا يكفيها أن تكون حماسية الموضوع ضافية الطول لتكون ملحمة ، إنما الملحمة مصطلح وضع فى الأدب الحديث ليقابل لفظ (إيوبيه) فى الأدب الأوربى . وهى بهذا المعنى لابد أن تكون قصة ، إما طبيعية تكونت على طول الزمن مما تنوقل وتوورث من الأقاصيص والأغانى حتى تنتهى إلى شاعر سمح القريحة طويل النفس فينظمها كما فعل هوميروس فى الألياذة ؛ وإما صناعية تنشأ من عمل فرد واحد يخلق مادتها ويصنع صورتها كما فعل الفردوسى فى الشاهنامة . وقصة الملحمة لابد أن تنتزع من حياة شعب بأسره ، لا من حياة شخص بعينه ، وبذلك تخرج من الملاحم القصيدة العمرية لحافظ . ولابد أن تقوم على قواعد الفن القصصى فى العرض والعقد والحل ، وبذلك تخرج منها أرجوزة (دول العرب) لشوقى . والطولات التى سماها الأستاذ صادق ملاحم قد خلت من عنصر الحكاية وهو الشرط الأساسى لوجود الملحمة ؛ وزخرت بمعانى الشعر الوجدانى من حماسة وفخر ومدح ورثاء ووصف وشكوى . وما أسعد المجمع يوم يقدم ويكرم ويجيز الشاعر الموهوب الذى يكمل نقص الشعر العربى فى القصص ، كما كمل شوقى نقصه فى التمثيل . وفى أحداث الفتوح الإسلامية والحروب الصليبية والمعارك الفلسطينية مواقف للبطولة والمروءة والتضحية تنتظر الشاعر العبقرى ليجعل منها موضوعا لملحمة العرب

وأما الأستاذ فريد عين شوكة فقد ولد فى منوف ثم تخرج فى دار العلوم سنة ١٩٣٦ ، وزاول تعليم اللغة فى مدارس الدولة . وأبناء دار العلوم وإخوانهم أبناء الأزهر هم جنود العربية وحماتها إما بالطبع وإما بالصنعة ، فالمصنوعون يخدمون فقهها ونحوها وصرفها وبلاغتها بالبحث والنقد والشرح والتعليم ؛ والمطبوعون يمارسون فوق ذلك تنمية أدبها بالكتابة ، وتجديد بيانها بالشعر . ومن هذا الفريق الأستاذ فريد . قال الشعر فى سن باكرة ، ووجد من طبيعة نفسه ومن طبيعة درسه ما يعين عليه فصاغه صياغة حسنة جرى عليها رونق الطبع فهى سلسة ، وأثرت فيها صنعة العلم فهى صحيحة ، وانفعلت مشاعره وخواطره بالنفس والبيئة والطبيعة والمهنة والعقيدة ، فتغنى بالشباب والحب ، ونظم فى التعليم والمدرسة ، وأشاد بالنيل والريف ، وقال فى الإسلام والعروبة . وقد تميز على صاحبيه بمعالجة الشعر التمثيلى وهو أكمل أنواع الشعر الثلاثة ، لأنه جامع لما يشتمل عليه من حرارة الوجدان فى وصف المواقف ، وجاذبية القصص فى سرد الحوادث ، وبراعة الحوار فى تمثيل الوقائع

هذان الشاعران اللذان جاءا فى الحلبة مصليين يجريان فى عنان ، لانفراد كل منهما بمزية ، كانا أقربهما من السابق وبعدهما عن المتخلف موضع تقدير المجمع فقدر لهما جائزة أخرى كالأولى وقسمها بينهما بالسوية

° ° °

إن المجمع كما ترون يا سادة يولى شرف السبق فى مضمار الشعر من امتاز ببلاغة الأسلوب فى جمال صورته وصحة فكرته وشدة أسره ؛ ثم لا يغفل بعد ذلك المعنى المبتكر ولا الفن المستحدث ولا الخيال المتطرف ولا الغرض السامى . والشعر على هذا النحو من أرفع الفنون التى يشجع على إنتاجها المجمع ؛ لأنه أحد النبعين اللذين ينبثقان من روح اللغة فيحملان لموادها النماء ولأساليبها الجدة ولصورها النضارة . والشعر من بعد ذلك خليق بأن نحتفل له ونحتفى به ونعين عليه ، لأنه موسيقى المجاهدين فى سبيل المجد ، وحداء المجهودين فى ركب الحياة

والمجمع إذ يؤدى إلى الشعر هذا الواجب فى أشخاص أهله ، يتقدم إلى الثلاثة المجازين بخالص التهنئة ، وإلى السبعة المؤجلين بجميل المعذرة ، وإلى السادة الحاضرين بجزيل الشكر

أحمد حسن الزيات

من شعر القوة في بلاد الشام

الأستاذ حمدي الحسيني

إن خلايا الحياة في جسم الأمة العربية بدأت تتحرك منذ أعلن الدستور العثماني؛ فكانت هذه البقعة العربية من طوروس إلى رفح أحفل البقاع العربية بمظاهر الحياة والنضال في سبيل الحياة. وقد كان فريق من شعراء هذه البقعة المباركة — ولا يزال أكثرهم والحمد لله أحياء — من أكثر الخلايا العربية تغذية لروح الأمة بالقوة المتدفقة والأمل الهادي، ومن أقواها حركة واندفاعا في ميادين النضال في سبيل الحرية والاستقلال. ولا شك في أن الشيخ فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية — حفظه الله — كان ولا يزال في الرعيل الأول من شعراء العرب الذين أحسوا برغبة الأمة العربية في الحرية وتطلعها إلى الاستقلال. فأخذ ينظم لها هذه الرغبة الصادقة شعرا صادقا فتنشره له الصحف العربية في مصر والآستانة، حتى تقدم الشريف حسين بن علي رحمه الله في الحرب الماضية فأعلن الثورة العربية بإطلاق الرصاصة الأولى في وجه الظلم فما كاد العالم العربي يسمع دوى هذه الرصاصة في سماء البلاد العربية حتى دوى بجانبها صوت الشيخ فؤاد الخطيب بقصيدة عصماء فكان دويها أيضاً واسع المدى قوي الصدى؛ حيا الشريف حسينا وحيا البيت والحرم، وطلب من الشريف أن ينهض للأمر الخطير نهضة قوية عنيفة لأن الظلم لم يعد يطاق، وأن الأذى لم يعد يحتمل. ومن أولى من ابن النبي يحمل هذا العبء الكبير، وينهض بهذا الأمر الخطير؟

والتف حولك أبطال غطارفة ... شم الأنوف يرون الموت مغتنما
فاصدم بهم حدثان الدهر مخترقا ... سدا من الظلم إن تعرض له انهدما

ثم التفت إلى العرب يستفز حميتهم ويستنهض هممهم:

إيه بني العرب الأحرار إن لكم ... لفجراً أطل على الأكوان مبتسما
يستقبل الناس من أنفاسه أرجا ... ما هب في الشرق حتى أنشر الرمما
من ذلك البيت من تلك البطاح على ... تلك الطريق مشت أجدادنا قدما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم ... إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما

وقد ظل الشيخ فؤاد متصلا ببني هاشم في دور ملكهم في الحجاز والشام وشرق الأردن والعراق ملامساً للقضية العربية العامة في أكثر نواحيها. وقد أخرج للمسرح العربي رواية فتح الأندلس، رأينا فيها روحه مشرقة على كل قطعة منها، ولا ننسى ذلك الموقف الذي اصطدمت فيه همة الشيخوخة الفانية بهمة الشباب المتوثب:

يا شيخنا اسلم وذرنا نحن في محن ... ماذا يضيرك أن نستقصي المحنا
تالله ما الموت إلا العيش في ضعة ... من يرض بالثوب يجعل ثوبه الكفنا
إن يعوز العرب في بنيان دولتهم ... هدم الحياة بذلنا الروح والبدنا
وليجعلوا من بقايانا ومن دمنا ... طينا وماء فيبنوا الملك والوطنا

وأما السيد خير الدين الزركلي شاعر القومية العربية أطال الله بقاءه فقد كان من أسبق شباب سوريا دعوة للقوة ومجاهرة برغبة الحرية:

ما منال الحياة بالمطلب السهل ... ولكنني أرى النهج وعرا
كل عز فباطل غير عز ... شيدته الظباة وخزا وهبرا
واللبيب اللبيب من يؤثر المو ... ت على أن يعيش في الذل دهرا

وهو يعتقد بأن أماني الأمم في الحرية والحياة لا تتحقق إلا إذا أصبحت في النفوس إيمانا دائما:

من كان يؤمن إيمانا بدعوته ... أجابه الفلك الدوار آمينا
ومن إذا خلصت للمجد همته ... أصاب نجحا على الأيام مضمونا

وهل الإيمان إلا الإرادة القوية الحازمة التي تأبى على الدهر إلا أن تتحقق على رغم الصعوبات والعقبات:

إرادة تستذل الصعب ماضية ... وعزمة تصدع الأطواد توهينا
وللمطامع ما ترضى فإن وهنت ... خابت وإن تمض آبت في المجلينا
كل امرئ طامح للمجد يطلبه ... لولا المطامع ما خاب المرجونا

وما دامت الإرادة ماضية في العمل فيجب أن يكون العمل ثابتا قويا لا يتزعزع ولا يتضعضع.

ابن على الصخر وإلا فما ... شيد على الهار يصدع

وخشي الزركلي أن يظن الضعفاء بأن الحق المهضوم يمكن الحصول عليه بالهوادة والتلين والهوان والذل، فراح يحذرهم هذا الظن الآثم بأقصى حدود الصراحة والصرامة:

من خال أن المجد يدركه هينا ... فلينتظر بعد الهوان هوانا

ما شاد ملكا أو أعز قبيلة ... من آثر الإخلاد والإذعانا

قال الزركلي هذا ولكنه لم يطمئن فقد خشى ألا يفهم الضعفاء وسيلة النضال الحقيقية فيظلوا في هوانهم سادرين فأخذ بأيديهم ووضعها على السلاح :

ابن مجداً ولو بحد المواضى ... ما أرى الدهر عن مهين براض
وأخو العزم من يبيت وكلتا ... مقلتيه لم تكتحل باغتماض
أفلح الخائض الغمار بعيد الغور ... رأياً وأخفق المتغاضى
ليس بالندب من إذا مسه ... الضيم تولى أو لاذ بالأرباض
إنما ابن العلاء من ليس بالمحجم ... عن خصمه ولا الركاض
من إذا استل بالجبين حساماً ... شغل البرق عن سنا الإيماض

وما كاد الزركلي يرى أمته اهتدت إلى الطريق السوى الموصل إلى الحق المهضوم حتى اطمأنت نفسه وزال قلقه ؛ واسمعه الآن في مكة بين يدى الملك حسين يصيح هذه الصيحة القوية على أثر خطب من الخطوب التي أصابت سوريا في ميدان جهادها:

إن في الشام أمة لا تطيق ... الضيم ، تأبى العلا لها أن تطيقا
أنذرونا بالموت ، ما أعذب المو ... ت إذا كان للحياة طريقا
إن للباطل اضطراباً على الحـ ... ق وعقباه أن يكون زهوقا

وأما السيد بشارة الخورى — الأخطل الصغير — ففي شعره وثبات قوية وحفزات ثائرة ، ونفثات محرقة تجعله في نظرنا شاعراً من شعراء القوة كما هو شاعر من شعراء الحب والجمال . وهل القوة والحب والجمال إلا شيء واحد معناه الحياة السعيدة المائلة ؟ واسمع الآن الأخطل الصغير يزف هذه البشرى الغالية بسقوط عبد الحميد — ليس للأمم العثمانية فحسب بل لأمم الأرض قاطبة

زال عصر السجود يا أمم الأرض ... وهذا عصر الإباء الوطيد
ظمئت هذه النفوس إلى المجد ... فلا تمنعوا سبيل الورود

وخذ هذه الحملة القوية التي يحمل بها الأخطل الصغير على الضعف الذي يبدو على الأمة العربية أحياناً عند نزول الخطوب بساحتها :

لا يثور المجد و أعراقها ... أمة تغدو على النوح وتمسى
يخطب المدفع في محفلها ... طاهر الألفاظ معسول التأسى
خاب من شيد حريته ... دون أن يدعم ركنيها برمس
مهروها أنفساً غالية ... لا بأحلام وأقلام وطرس

وخذ هذه القطعة القوية التي يوجهها إلى الشباب هذا التوجيه القوى الجميل المحبب

يا دماء الشباب ما أنت إلا ... ذائب الطيب يادماء الشباب
لا تضنى على الحراب وإن آذتك ... بل عطرى رءوس الحراب
املئيها شذاً كما يملأ الورد ... يد الجارحيه بالأطياب
قطرة منك بسمة في فم الرفق ... وسوط على يد القرضاب
كم سياج من الحديد تقضى ... وسياج باق من الآداب

وأما الشيخ سليمان التاجي الفاروقي فهو شاعر فلسطيني مقل ولكن قليله قوى صادع كانت تتفجر به عواطفه المكبوتة بعد الدستور العثماني تفجرا قويا عنيفا . وقد وقعت في يدنا إحدى صوادحه وهي التي كان قد أنشدها في الآستانة في أواخر الحرب العالمية الأولى فكانت نفثة تنم عما تستشعره نفسه المرتمضة وتحس به عواطفه المتألمة . وإليكم هذه القطعة القوية من هذه القصيدة العامرة :

بيد أنا بعد ما قد نالنا ... لا يرى اليأس إلينا مذهبا
نحن للحرب خلقنا وبنا ... يضرب الأمثال من قد ضربا
عدة الناشئ منا سيفه ... وفؤاد منه أمضى مضربا
إن للعرب لجيشا إن مشى ... زلزل الشرق وراع المغربا
تسجد الأحكام إجلالا له ... ويدك الأرض دكا والربى
كتب النصر على راياته ... كيف والله الذي قد كتبا
أيها الطامع في إذلالنا ... إن من دون مناك الشهبا
قد أبى الله لنا إذلالنا ... كيف ترجو أنت ما الله أبى

الشيخ إبراهيم الدباغ رحمه الله : شاعر فلسطيني عاش في مصر منذ حداثته ؛ قد اتصل بالحركة الوطنية في مصر وساهم في خدمتها من طريق الصحافة والسياسة ، انتسب للحزب الوطني ثم ظاهر حزب الوفد ، في شعره رغبة في الحرية وأمل في تحقيقها للعرب وللشرقيين عامة :

علت فقلى في كل صدر وجيبها ... وآلت لها إن كان غيرى مجيبها
تعود منها المستبدون هدنة ... وسلما وردتهم لرشد حروبها
ممنعة لا تبتغى عند أمة ... موزعة أهواؤها وقلوبها
بنو الشرق أبطال لها في بلادهم ... وما ذاك دور العز إلا قريبها

فتح القسطنطينية

الدكتور سالم أحمد الرشيدى

« لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش »
حديث شريف

تحتل مدينة القسطنطينية موقعا فريدا بين مدن العالم، وحسبك أن تلقى نظرة عليها فى الخريطة فتدرك ذلك. فهى تقع عند ملتقى القارتين آسية وأوربا، تحيط بها البحار من ثلاث جهات. وقد حبتها الطبيعة خصوبة الأرض وجودة الطقس كما حبتها أسباب القوة والمنعة. وللقسطنطينية ميناؤها العظيم فى القرن الذهبى الذى كان يعد أوسع وآمن ميناء فى العالم. وكانت هذه المدينة فوق ذلك كله مركزا عظيما للتجارة، تأتى إليها المتاجر من كل صوب من البر والبحر. وقد نوه نابليون بونابارت بوجه خاص فى العصور الحديثة بأهميتها وخطورتها فقال فى شأنها «لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها». وذكر نابليون فى مذكراته التى كتبها فى منفاه بجزيرة سانت هيلين Sainte Hélène أنه حاول مرات عدة الاتفاق مع روسيا على اقتسام الإمبراطورية [1] التركية، ولكن وقفت القسطنطينية فى كل مرة العقبة الكؤود دون الاتفاق. فقد كانت روسيا تلح فى امتلاكها ونابليون يصر على عدم تسليمها إذ أن هذه المدينة وحدها كانت فى نظره تساوى إمبراطورية. وهى تعد بمثابة مفتاح العالم، من استولى عليها استطاع أن يسيطر على العالم بأجمعه. وقد كان نابليون فى أشد الحاجة إلى صداقة روسيا لمواجهة عدوته الالدود إنجلترا؛ ولكنه برغم ذلك لم يستطع أن يضحى بالقسطنطينية. ولو قد تم الاتفاق بين نابليون وروسيا

(١) يقول اللغوى العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى: «إن كتابة الإمبراطور بهذا الرسم كما يرسمه المعاصرون لا يوافق القواعد العربية لأنه لا يرى فى الكلم الضادية من عربية ومعربة، فيها الميم ساكنة، ويليها باء متحركة. فإذا وقع مثل ذلك رسمت الميم نونا. ولهذا يجب أن تكتب (الانبراطور) بنون» وهناك لغات أخرى فى كتابة هذه الكلمة مثل: انبراطور وانبرادور وانبرور وجميعها بالنون

وفى شعره ثورة على الظالم وتبرم بالظالمين:

أغرب ما شاهدت فى حكم الشعوب والأمم
مسلط يطاع فيها أمره، وإن ظلم
وخادم يعطى له السيـ ـد أجر ما اجترم

السيد إبراهيم طوقان رحمه الله، من شعراء الشباب فى فلسطين، فى شعره حيوية وقوة تهيجها الذكريات الخالدة، وتحركها الحوادث العظيمة، فذكرى خالدة كذكرى واقعة حطين تعصف فى نفسه عصفا قويا ولا تنفك تعصف حتى يقول:

قف على [1] حطين واخشع يشج قلبك ما شجانى
وانظر هنالك هل ترى آثار يوسف فى المكان
من كل خطار على الأخـ ـطار صبار الجنان
حلقات أدرعهم قيو د الموت فى درك الطعان
وسيوفهم ماء الحميم على مضاربهن قان
والخيل طوع كأنها فى النقع مرخاة العنان
لا تنثنى أو تحرز القصبا ت فى يوم الرهان

وخذ هذه القطعة القوية التى يصف بها من يخاطر بحياته فى سبيل عقيدته:

لا تسل عن سلامته روحه فوق راحته
بدلته همومه كفنا من وسادته
بين جنبيه خافق يتلظى لغايته
صامت لو تكلما لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته خلق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم تزل يده تسبق الفما

وخذ هذه القطعة أيضا يصف بها الشهيد:

عبس الخطب فابتسم وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى ثابت القلب والقدم
لا يبالى الأذى ولم يثنه طارئ ألم
لا تقل أين جسمه واسمه فى فم الزمن
إنه كوكب الهدى لاح فى غيهب المحن
أرسل النور فى العيو ن فما تعرف الوسن

حمدى الحسينى

(١) كذا

على مصير هذه المدينة لتغير مجرى تاريخ أوربا وتغير تبعاً لذلك مجرى تاريخ العالم كله

وقد أدرك الغزاة والفاتحون منذ القدم أهمية هذه المدينة وخطورة موقعها فحاولوا الاستيلاء عليها وحاصروها مرات كثيرة . غير أن هذه المدينة استطاعت بمناعة موقعها وقوة حصونها أن تصد معظم الغزاة الفاتحين وكان للمسلمين نصيب كبير من هذه المحاولات ، وقد وردت أحاديث كثيرة تبشرهم بفتح القسطنطينية منها قوله عليه الصلاة والسلام « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » الأمر الذى زادهم تعلقاً وأملا فى فتح هذه المدينة . وقد حاول المسلمون فتحها منذ أيام الخليفة عثمان بن عفان واستشهد تحت أسوارها الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى فى عهد معاوية بن أبى سفيان . وهكذا أصبحت القسطنطينية — إلى جانب أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية — أهمية دينية خاصة فى نظر العثمانيين الذين حملوا لواء الإسلام والجهاد فى سبيله بعد استقرار دولتهم الجديدة فى آسيا الصغرى فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى . وقد أدرك عثمان أول سلاطين الدولة العثمانية — كغيره من الفاتحين قبله وبعده — قيمة هذه المدينة وعظم قدرها ولكنه لم يكن إذ ذاك قد بلغ من القوة ما يقدر به على فتحها فأوصى بذلك من يأتى بعده . وقد حاصرها السلطان بايزيد الأول والسلطان مراد الثانى ولكنهما لم يصلا إلى فتحها حتى جاء السلطان محمد الفاتح فاستطاع — بما أظهره من إحكام القيادة وحسن التنظيم وسرعة الخاطر وقوة العزيمة والمصابرة والجلد والتفنن فى ابتداع آلات الحصار والقتال — أن يصل إلى فتح هذه المدينة ، وحقق بذلك حلم الفاتحين منذ ألف عام كما حقق البشارة النبوية الكريمة بفتح القسطنطينية

وقد أوصى السلطان الفاتح جنوده عند دخولهم هذه المدينة باتباع تعاليم الشرع الحنيف فلا يقاتلون إلا من قاتلهم ولا يعرضون للنساء والأطفال والعجزة بسوء أو أذى ، ويحسنون معاملة من يقع فى أيديهم من الأسرى وأن يكونوا أهلا للشرف العظيم الذى حباهم به الرسول (ص) فى حديثه

وباستيلاء المسلمين على القسطنطينية قضى على ما كان يستحر فيها من النازعات والمشاحنات الدينية التى طالما أثارت الفتنة وأراقت الدماء ، وحرم السلطان الفاتح اضطهاد النصارى تحريماً قاطعاً ولم يميز فى تسامحه ومعاملته بين أحد منهم على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم بل جعلهم كلهم سواء وأظلهم جميعاً بعدله ورعايته . وقد طلب إليه بعض الجهلة المتعصبين قتل الروم وإبادتهم إذا لم يدخلوا فى الإسلام فأبى عليهم ذلك وقال إنه يخالف تعاليم القرآن وأذن للروم بانتخاب بطريركهم الجديد بنفس المراسم الفخمة التى كانت تتبع فى عهد الأباطرة الأول وقد احتفى به السلطان الفاتح وأعظم لقياه وبالغ فى تكريمه ولكن مؤرخاً إنجليزياً هو اللورد إيفرسلى Lord Eversly قد استنتج من هذا التسامح أنه دليل على أن العثمانيين فى فتوحاتهم بأوربا لم يكونوا يقصدون إلى نشر الإسلام . وهو استنتاج خبيث الرمى والغرض إذ معناه أن الإسلام قبل ذلك لم ينتشر بالتسامح والاختيار ، وإنما نشر بالسيف والإكراه . ولو أن هذا اللورد الإنجليزى قد شدا شيئاً فى تاريخ الإسلام لعلم أن هذا الدين فى مختلف عصوره وعهوده لم يفرض قط على أحد من الناس . ويقول السير توماس أرنولد Sir Thomas Arnold : إن مدينة القسطنطينية بعد الفتح العثمانى الإسلامى أصبحت ملجأ العالم كله ، يأمن فيه الخائف والذعور ويطمئن فيه المضطهد والمظلوم وينال فيه جميع الناس العدل والمساواة والحرية على قدر سواء لا تمييز بين غنى وفقير ولا بين عظيم وحقير . فكان فتح القسطنطينية بحق مفخرة من مفاخر الاسلام التى تزهى بها التاريخ ومجداً من أمجاده الخالدة الباقية على الدهر

لقد كان لسقوط القسطنطينية فى يد الأتراك العثمانيين (فى العشرين من جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ ٢٩ مايو ١٤٥٣) دوى عظيم فى العالم ولكن اختلف وقعه وأثره فى الغرب عن وقعه وأثره فى الشرق . أما النصارى فى الغرب فقد صعقهم نبأ هذا الحادث وعلكهم الفزع والألم والخزى وتجسم لهم خطر المسلمين وتهديدهم لأوربا النصرانية وتوجسوا أن يكون انتصار محمد الفاتح بداية لتوغله فى أوربا فأخذوا يتتبعون خطواته وحركاته بقلق واهتمام وعظمت فى أعينهم أهمية القسطنطينية وخطورة قيمتها . وازداد الأتراك العثمانيون شهرة فى الناحية العسكرية بعد

استيلائهم على هذه المدينة المنيعة الخالدة . وقال حاكم مدينة غلطه في رسالة كتبها بعد فتح القسطنطينية بنحو شهر إن السلطان محمد الفاتح، يهدف إلى أن يكون سيد العالم وأنه قبل أن تمضى سنتان سيزحف إلى رومة . وعبر كتاب معاصرون آخرون عن مثل هذا الفزع . وخطب إينياس سلفيوس Aeneas Sylvius (الذى صار فيما بعد بابا باسم بى الثانى Pie 2) أمام ندوة فرانكفورت يقول : إن سقوط القسطنطينية قد جعل البحر مفتوحة أمام محمد الفاتح وإذا ما خضعت له هذه البلدة انفتحت له الطريق لغزو إيطاليا وألمانيا . وبعث أحد شعراء النصرانية فى الشرق بقصيدة طويلة إلى العالم النصرانى يهيب به إلى قتال الأتراك وحث البابا نيقولا الخامس أن يعمل على توحيد كلمة أمراء النصرانية وتوجيه جميع جهودهم وقواهم لقتال العدو المشترك ثم ابتهل الشاعر إلى العذراء ، ودعا أن يكتب النصر لقومه

والحق أن النصارى فى الغرب قد انبعث فيهم نوع من الروح الصليبية القديمة وتداعى الناس إلى طرح الخلافات والحزازات والاتحاد ضد الأتراك . وعنف الكاردينال سنت أنج اللاتين وقرعهم على تخاذلهم عن نجدة الروم وألقى عليهم تبعة هذه الكارثة العظيمة . وكان البابا نيقولا الخامس أشد الناس تأثرا بنبأ سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك وجد فى توحيد الدول الإيطالية وتأليبها على قتالهم، ورأس مؤتمرا فى رومة أعلنت فيه الدول المشتركة عزمها على التهادن فيما بينها وتوجيه جميع جهودها وقواها ضد العدو المشترك

وكان من أعظم الناس تأثرا باستيلاء الأتراك العثمانيين على القسطنطينية فيليب الطيب دوق بور غونيا وقد كان هذا الدوق بطبعه ذا نزعة صليبية قوية ومن أشد الناس تحمسا لقتال الأتراك من قبل سقوط القسطنطينية، فلما استولى هؤلاء على هذه المدينة وجاءه رسول البابا سنة ١٤٥٣ يستحثه على قتال محمد الفاتح التهب حماسا وحمية واستنفر جميع النصارى إلى هذا القتال وذهب بنفسه إلى ألمانيا يستنهض إنبراطورها فريدريك الثالث . وبعث هذا الإنبراطور بدوره إلى ملك فرنسا شارل السابع كما بعث إليه فى نفس الوقت الملك ألفونس يحثانه على حرب السلطان محمد الفاتح ، ولم يلبث أن تحولت الفكرة الصليبية من قتال الأتراك العثمانيين إلى قتال جميع المسلمين وغزو جميع بلادهم إمعانا فى الانتقام وأخذ الثأر لمدينة القسطنطينية . يقول المؤرخ المصرى المعاصر أبو المحاسن ابن تغرى بردى « وفى هذا الشهر (ربيع الآخر ٨٦١ هـ مايو ١٤٥٧ م) وردت الأخبار من الإسكندرية وغيرها من بلاد الساحل أن الفرنج عمرت نحو الثمانمائة مركب لغزو سائر سواحل الإسلام من الروم إلى الإسكندرية ودمياط مكافأة لأخذ السلطان محمد بن عثمان اسطنبول من الفرنج خزاهم الله فلم يلتفت السلطان لهذا الخبر لعزة شوكة الإسلام ونصرته إن شاء الله إلى يوم القيامة » (١) وقد أرسل الغرب النصرانى فعلا فيما بعد حملات حربية إلى الشرق ولكنها كانت محدودة الأثر لم تتعد تخريب بعض المدن الساحلية فى آسية الصغرى

ذلك ما كان من حال النصارى فى الغرب وموقفهم بعد فتح القسطنطينية . أما فى الشرق الإسلامى فقد كان الأمر على عكس ذلك ، إذ عم الفرح والابتهاج بين المسلمين فى ربوع آسية وإفريقية ، لهذا الفتح الإسلامى العظيم . وما أن وصل رسل السلطان محمد الفاتح إلى مصر والحجاز وفارس يحملون نبأ هذا الفتح حتى هلل المسلمون وكبروا وأذيعت البشائر من منابر المساجد وأقيمت صلوات الشكر وزينت المنازل والدكاكين والحوانيت وعلقت على الجدران والحوائط الأعلام والبنود المزركشة المختلفة الألوان وأمضى الناس فى هذه البلاد أياما كأحسن ما تكون أيام الأعياد الإسلامية روعة ورونقا وبهاء . وأى مسلم كان لا يغتبط وقد تحققت نبوءة كريمة لنبيهم الكريم بفتح القسطنطينية التى استعصت على المسلمين منذ الصدر الأول من الإسلام ؟

وندع هنا المؤرخ المصرى المعاصر الثقة أبا المحاسن بن تغرى بردى يصف لنا شعور الناس وحالهم فى القاهرة بعد أن وصل إليها قاصد السلطان محمد الفاتح ورفقته فى الثالث والعشرين من شوال سنة ٨٥٧ (٢٧ أكتوبر ١٤٥٣) بنبأ فتح القسطنطينية ومعهم

(١) هكذا كان حال الإسلام منذ قرون . تتألب جميع دول أوربا وتحشد جموعها لغزو الشرق فلا يحرك ذلك فى المسلمين أى التفات أو مبالاة اعتمادا بقوتهم وشوكتهم

فأين نحن اليوم من هذا ؟

بحث لغوي

بين الضر والضرر

للأستاذ الطاهر بن عاشور
عضو مجمع فؤاد المراسل

أجملت كتب اللغة في هاتين الكلمتين إجمالا سرت منه إلى ألسن المستعملين أخطاء باستعمالهم كلمة الضرر بالفك فيما يساوي معاني كلمة الضر بالإدغام، غافلين عما تضمنه عدم إدغام الحرفين في كلمة الضرر من التنبيه على الاحتراز من استعمالها فيما يساوي معنى كلمة الضر المدغمة

فوجب بسط هذا البحث وتحقيقه؛ ذلك أن في اللغة فرقا في اعتبار بنية الفعل يظهر أثره في حالة مصدره، فالمصدر الذي على وزان فعل بفتح العين إنما يجيء مصدرا من الفعل الذي ماضيه على زنة فعل بكسر العين ومضارعه على زنة يفعل، وهذه البنية مصوغة لأفعال السجايا والوجدان مثل فهم وفرح وجوي، ولأفعال الاتصاف بالعاهات مثل مرض وشلل وعمي وزمن

فلأجل ذلك ففعل ضر الماضي إذا استعمل متعديا فحركة عينه في الماضي تقدر بالفتح لأن مضارعه مضموم العين. قال تعالى: «لن يضروكم إلا أذى — لا يضركم من ضل» فهو جار على قاعدة أن المضاعف المتعدي المفتوح العين في الماضي ينقاس في مضارعه ضم العين، عدا ما استثنى مما جاء بالكسر على خلاف القياس أو جاء بالوجهين الضم والكسر؛ ومصدر ضر هذا المتعدي الضر بوزن فعل كالنصر مفتوح الضاد

وقد وجب فيه إدغام أول مثليه لأن أولهما ساكن وثانيهما

الهدايا وأسيران من عظماء الروم قال «قلت ولله الحمد والمنة على هذا الفتح العظيم وجاء القاصد المذكور ومعه أسيران من عظماء اسطنبول وطلع بهما إلى السلطان (سلطان مصر الأشرف إينال) وهما من أهل قسطنطينية وهي الكنيسة العظمى باسطنبول فسر السلطان والناس قاطبة بهذا الفتح العظيم؛ ودقت البشائر لذلك وزينت القاهرة بسبب ذلك أياما، ثم طلع القاصد المذكور وبين يديه الأسيران إلى القلعة في يوم الإثنين خامس وعشرين شوال بعد أن اجتاز القاصد المذكور ورفقته بشوارع القاهرة وقد احتفلت الناس بزينة الحوانيت والأماكن وأمعنوا في ذلك إلى الغاية وعمل السلطان الخدمة بالحوش السلطاني من قلعة الجبل . . .». ويقول ابن تغرى بردى في موضع آخر «ثم طلع قاصد متملك بلاد الروم ورفقته إلى القلعة من غير أن يحضر القضاة ومثلوا بين يدي السلطان وقدموا ما معهم من الهدية التي أرسل بها رسلهم (عدد ابن تغرى بردى هذه الهدايا وذكر أنواعها وهي كثيرة) فقبلها السلطان ورحب به ثم أنزل إلى محل إقامته ومعه رفقته وهم يتفرجون في الزينة وكانت عظيمة واستمرت أياما وتغالى العوام في شأنها مع استمرار دق البشائر في صباح كل يوم أياما»

وهذا الذي ذكره ابن تغرى بردى من وصف احتفال الناس وأفراحهم في القاهرة بفتح القسطنطينية ما هو إلا صورة لنظائر لها قامت في البلاد الإسلامية الأخرى. وقد سجل لنا المؤرخ التركي فريدون بك في كتابه «مجموعة منشآت السلاطين» الكتب التي تبودلت بمناسبة هذا الفتح العظيم بين السلطان محمد الفاتح وبين سلطان مصر وغيره من ملوك المسلمين وأمرائهم وهي تكشف لنا عن نوع العلاقات القائمة في ذلك العهد بين هذه الدول الإسلامية المتجاورة وكانت تفيض بحسن المودة وصدق الإخاء والصفاء

° ° °

وبعد، فإن المسلم ليدخل اليوم في مسجد السلطان محمد الفاتح باستانبول فيكون أول ما يروعه من هذا المسجد جبينه المتبلج وقد نقش عليه هذا الحديث الكريم «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» فتخشع نفسه ويخفق قلبه وتطوى في ذهنه آماد الزمن ويمر به الذكر بين محمد بن عبد الله الذي أنطقه الوحي بهذا الحديث وبين محمد الفاتح الذي حقق هذا الحديث فلا يملك إلا أن يقول: سبحانك ربي، أية معجزة قد تمت!

الدكتور سالم أحمد الرشيدي

متحرك . فالإدغام واجب ، فلذلك قالوا ضر كقوله تعالى : «ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا» .

واسم المصدر منه الضر بضم الضاد . ومنه قوله تعالى : «ثم إذا كشف الضر عنكم» وقيل الضر والضر لغتان في مصدر ضر المتعدى جريا على ما جاء باللغتين في الأسماء نحو الشهد والشهد تغليبا لجانب الجمود في المصدر على جانب الاشتقاق ، والقول الأول أصح وأقيس

فأما إذا استعمل ضر فعلا لازما فهو حينئذ بمعنى صار ضريرا ، أى عمى ، فتعين أن يكون وزنه فعل بكسر العين في الماضي لأنه وزن أفعال العاهات والأحزان ونحوها . فقياس مضارعه أن يكون مفتوح العين ، فيقال يضر بفتح الضاد ، كما يقال عمى يعمى وشلل يشل (واعلم أنى لم أعثر على مضارع ضر في كلامهم إلا في قول بشار :

إذا ذكر الحباب بها أضرت بها عين تضر على الحباب

وقد وجدته في نسخة ديوان بشار غير مضبوط فضبطته بفتحة على الضاد ، ولم أعثر أيضا على من ذكره أو ذكر زنة ماضيه من أصحاب كتب اللغة المعروفة لنا ، مثل الأساس والصحاح واللسان والقاموس والتاج والمخصص لابن سيده وإصلاح المنطق ومفردات الراغب والمشارق لعياض والنهاية لابن الأثير

وإذ لم يذكروا فيه أنه جاء على خلاف القياس فهو محمول على القياس في الماضي والمضارع ، وقد دل على ذلك أيضا مصدره ، فإنهم قالوا في مصدره الضرر بدون إدغام لأنه جاء على مثال فعل ؛ وكل ما كان من الأسماء مضاعف الثلاثي على هذا المثال وشبهه ، فإنه يتعين فيه الفك ولا يجوز الإدغام . وعللوه بالخفة الحاصلة بالفتح مثل : طلل ، ولبب ، وجلل . وأنا أرى أن علة الفك فيه التفرقة بين الفعل والاسم في الأكثر، ثم طرد الباب على وتيرة واحدة . فإذا قالوا في المصدر ضرر علمنا أن الماضي بوزن فعل بكسر العين، وأن المضارع بوزن يفعل بفتح العين. ومن أجل ذلك لا يطلق الضرر بالفك إلا على ما كان من الأضرار عاهة . فالعمى ضرر والزمانة ضرر . قال تعالى : «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر» أى العمى والزمانة . وقد فسر المفسرون الآية بذلك ، فلا يشمل من أصيب بضر في ماله أو في أهله . وفي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فجاء ابن أم مكتوم وهو يملها على فقال يارسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى. فأنزل الله على رسوله «غير أولى الضرر» اهـ

ولم يستعمل الضرر في غير ما هو من العاهات فيما بلغنا من كلام العرب ولا رأينا من صرح به من الأئمة المروى عنهم . ولكن وقع في كتاب الأقضية من الموطأ عن يحيى المازنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا ضرر ولا ضرار) هكذا رواه المازنى مرسلا .

وإن كان قد أسند بهذا اللفظ عن أبي سعيد الخدرى وعبادة ابن الصامت وعائشة وابن عباس في غير الموطأ من سنن ابن ماجه ومسند أحمد ونحوهما من الكتب التي تخرج الصحيح وتدونه بأسانيد مختلفة .

فلننقل الكلام إلى الاحتجاج بالحديث في العربية ، وهى قضية مختلف فيها سكت عنها المتقدمون . وقد منع الاحتجاج به ابن الضائع الاشبيلى ، وقال أبو حيان : «إن الأئمة من البصريين والكوفيين لم يحتجوا بالحديث ، وتبعهم على ذلك المتأخرون»

وأجاز الاحتجاج بالحديث ابن مالك وابن هشام الأنصارى . ويؤخذ من كلام الائمة ما يؤيد القول الأول ، إذ قالوا لا تقبل رواية اللغة إلا من الرواة الثقات ، يعنون بالرواة رواة العربية المتصدين للرواية ؛ إذ لا نشك في أن شرط قبول نقل الناقل في اللغة أن يكون قاصدا نقل اللغة ، فلا تؤخذ العربية تبعا لنقله في غرض آخر لأن الناقل إنما يضبط ويتحرى في نقله فيما يخص الغرض الذى لأجله ينقل؛ لأن المقصود من الخبر النسبة الخبرية لا الضمنية ؛ فالراوى المتصدى لرواية الأحاديث لإفادة أحكام شرعية لا يهمه من الألفاظ إلا موادها المفيدة للمعاني دون صيغها المقيدة لاختلاف كيفيات تلك المعاني . فإذا لم يكن نقله صريحا في غرضه الذى تصدى لأجله ، رجع أمر نقله إلى أنه احتجاج بحسن الظن به في تحرى الصواب من جميع جوانبه . وذلك غير مقنع في إثبات اللغة. وقد عدوا من القواعد الأصلية أن الكلام إذا سيق

لمعنى لا يحتج به فى معنى آخر . على أنه قد حفظ الخطأ من كثير من الأئمة بتصحيف أو نحوه

ورواة الحديث قد يقع لهم الغلط فى عربية ما يروونه ، وممن عد من هذا الباب ، هشيم بن بشير السلمى من أئمة الحديث . قال النضر بن شميل وهو من أئمة اللغة ، كان هشيم لحانا وهو الذى روى حديث (إذا تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز) رواه بفتح السين من سداد والصواب سداد بكسر السين فى تتمة مدونة فى كتب اللغة والأدب . فلعل النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا ضر ولا ضرار . فغيرها الراوى لا ضرر . فاذا درجنا على عدم الاحتجاج بالحديث فى العربية ، فهذا الحديث لا يثبت به استعمال فى العربية لما يتطرقه من الاحتمالات بالنسبة للرواة لا بالنسبة لقائل اللفظ المروى . فلا يكون ذلك شاهدا لغويا

وإذا درجنا على الاحتجاج به تعين : إما أن نرده إلى الرواية بالمعنى بأن درج الرواة على استعماله مولد ، وإما أن نؤوله : فأما بالحمل على الشذوذ مثل قول أبى النجم : الحمد لله العلى الأجلل . والشاذ يغتفر لأهل اللسان ولا يتابعون عليه فى استعمال غيرهم . وإما بتأويله بأن الذى أوجب الفك هو قصد الاتباع والمزاوجة بين اللفظين الضرر والضرار ، فان كليهما لا إدغام فيه . فروعى ذلك فى المقارنة تحسينا ، وهو من ضروب البديع كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث وفد عبد القيس فى الصحيح : (مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى) . فجمع نادما على ندامى لموافقة صيغة خزايا . إذ ليس فعالى من صيغ جموع فاعل ، بل هو من صيغ جمع فعلان والندمان هو المنادم ، ومن هذا النوع قول الشاعر :

هتاك أخبية ولاج أبوبة   يخالط البر منه الجد واللينا

إذ جمع بابا على أبوبة . وقوله صلى الله عليه وسلم لنساء (ارجعن مأزورات غير مأجورات) . بهمز مأزورات . وأصله موزورات لأنه من الوزر وهو الإثم وإنما هو اتباعا لقوله غير مأجورات

والحاصل أننا إذا قبلنا الاحتجاج به تعين أن يحمل لفظ النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء على خلاف القياس محملا يناسب فصاحته وبلاغته . ويستخلص من هذا كله أن الضر والضر أعم من الضرر فيصح إطلاق الضر والضرر على المعنى الذى يطلق عليه الضرر ولا يقع إطلاق الضرر على كل ما يطلق عليه الضر والضرر

وأما ما وقع فى صحاح الجوهرى من قوله : « الضر خلاف النفع والاسم الضرر ويقال لا ضرر عليك » فهو مما انفرد به . وقد ذكر الأئمة أن الجوهرى لا يؤخذ ما انفرد به . وقد وهمه الفيروزبادى فى مواضع كثيرة

قال التبريزى : لا يشك فى أن فى كتاب الصحاح تصحيفا لاشك أنه من المصنف لا من الناسخ (ص ٤٩ مزهر ج ١) ، وقال الأزهرى لا يقبل من الجوهرى ما انفرد به (ص ١٧ مزهر ج ١)

ووقع فى الأساس ما يوهم ظاهره موافقة كلام الجوهرى . لكنه ليس بنص بل هو محتمل للتأويل

ومن أهم الواجبات الحفاظ على فروق العربية ودقائق استعمالها وإبقاء ما شذ عن ذلك غير متجاوز موقعه بحيث لا يرخص لأحد فى اتباعه ، لأن ذلك يفضى إلى تلاشى رونق العربية وضياعه

تونس **الطاهر بن عاشور**

الدخان فى الشعر ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

كتب الأديب فتحى بسيونى دعبس فى العدد «٩٢٠» من الرسالة الزاهرة كلمة فى البريد الأدبى تساءل فيها عن عدم تناول الشعراء المعاصرين الدخان فى شعرهم مع أنه بلغ من سرعة الانتشار هذا المبلغ العظيم، ورجا فى ختام كلمته رجال الشعر وأرباب القريض أن يجعلوا من الدخان ملاحن وأغاريد يخلدون بها هـذا النوع من الترف المـدنى شأنهم فى تخليدهم الخمر التى يقول فيها إمام هذا اللون من الشعر وأعنى به الحسن بن هانى الملقب بأبى نواس

اثن على الخمر بآلائها ... وسمها أحسن أسمائها
لا تجعل المـاء لها قاهراً ... بلى وسلطها على مائها
والخمر قد يشربها معشر ... ليسوا إذا عدوا بأكفائها

وإظهاراً للحقيقة وإجابة للصديق الفاضل أود أن أقدم لقراء الرسالة بعض الشعر العراقى المعاصر الذى قاله شعراء العراق فى الدخان

فقـد قال المرحوم معروف الرصافى وهو من المعروفين لدى أدباء العربية فى وصف السيكارة من قصيدة طويلة سماها (العادات قاهرات) أبيات إن تكن متينة فى ديباجتها إلا أنها تعد بحق من خيرة القصائد التى قيلت فى هذا المعنى ، ومطلع هذه القصيدة

كل ابن آدم مقهور بعادات ... لهن ينقاد فى كل الإرادات

ثم يسترسل حتى يأتى إلى ما نحن بصدده فيقول

لو لم تكن هذه العادات قاهرة ... لما أسيغت بحال بنت حانات
ولا رأيت «سكارات» يدخنها ... قوم بوقت انفراد واجتماعات
إن الدخان لثان فى البلاء إذا ... ما عدت الخمر أولى فى البليات

ولست أدرى ما هو رأى شعرائنا الآن فى البيت الأخير من قصيدة المرحوم الرصافى وأعنى بهم شعراء الخمر ومنهم صديقنا جميل أحمد الكاظمى وفؤاد عباس وخيرى المنداوى فى العراق .

أما أنا فلست على رأى الرصافى طبعاً ثم يواصل وصفه فيقول .

ورب بيضاء قيد الإصبع احترقت
فى الكف وهى احتراق فى الحشاشات
إن مر بين شفاه القوم أسودها
ألقى اصفراراً على بعض الثنيات
وليتها كان هذا حظ شاربها
بل قـد تفت بكفيه المرارات
مـوائد عمت الدنيا مصائبها
وإنما أنا فى تلك المصيبات
إن كلفتنى السكارى شرب خمرتهم
شربت لكن دخاناً من سكاراتى
وقلت ياقوم تكفيكم مشاركتى
إياكمو فى التذاذ بالمضرات
إنى لأمتص جمراً لف فى ورق
إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
كلاهما حمق يفتر عن ضرر
يسم من دمنا تلك الكريات
حسبى من الحمق المعتاد أهونه
إن كان لابد من هذى الحماقات

والقارئ يجد فى الأبيات السابقة أن المرحوم الرصافى قد كذب على نفسه وعلى النـاس لأنه رحمـه الله كان لا تفارق الكأس شفتيه وهو كما قال فيه صديقنا الأستاذ الزيات: «همه من الحيـاة شرب العرق ولعب الورق واستباحة الجمال» وقد حدثنى الأستاذ الشاعر خيرى الدين المنداوى وهو صفى الرصافى وصديقه الحميم فقال :

إن صاحب الجلالة المرحوم فيصل الأول كان قد سمع بأن المنداوى يشرب الخمر بإفراط وأن الناس قد نقلوا له ــ وأعنى المقربين إلى جلالته آنذاك ــ أحاديث لا تسر؛ لذلك أرسل فى طلبه، وحينما مثل بين يدى جلالتـه طلب منه هجر الخمر وإن لم يستطع فليشرب ولـكن دون أن يعلم أحـد به .. وما كان من المنداوى إلا أن امتثل أمر جـلالته ووعده بالطاعة وترك بنت الحان نهائيا ، وخرج المنداوى على هذا الأمر واعتكف فى داره وهو ينظم قصيدة فى هذا المعنى . وبعد يومين من نشر القصيدة جاءه المرحوم الرصافى وكان الوقت صباحاً وبيده قنينة خمر وعندما

استقر به الجلوس قال لصديقه الهنداوى أنت صاحب القصيدة التي تقول فيها لصاحب الجلالة إنك ستتوب عن شرب هذه الفضة، وأخرج له قنينة الخمر، فأجابه الهنداوى: طبعاً، فما كان من المرحوم الرصافى إلا أن أفرغ فى الكأس قسماً منها وناولها الهنداوى وهو يقول:

والله لأفسدن عليك هـذه التوبة .

وظل يداوره حتى شربها . وهذه القصة ـ وصاحبها حى يرزق ـ ما سقتها إلا للاستشهاد على كذب المرحوم فى شعره وأعذب الشعر أكذبه كما قال غيره

ثم يقول فى القصيدة نفسها

يامن يدخن مثل كل آونة   إنى ألمك ولا ترض اعتذاراتى
إن الموائد كالأغلال تجمعنا   على قلوب لنا منهن أشتات

ويختم الشاعر قصيدته بقوله

لو لم يك الدهر سوقاً راج باطلهـا
ماراجت الخمر فى سوق التجارات
ولا استمر دخان التبغ منتشراً
بين الورى وهو مطلوب كأقوات
لو استطعت جعلت التبغ محتكراً
فوق احتكار له أضعاف مرات
وزدت أضعاف أضعاف ضريبته
حتى يبيعوه قيراطاً بـبدرات
فيستريح فقير القوم منـه ولا
يبلى به غـير مثر ذى سفاهات

والقارئ الكريم يلاحظ فى هذه الأبيات ركاكة فى التعبير وذلك كما قلت سابقاً أن القصيدة هذه ليست من الفن فى شىء إلا النظم، وذلك لدخول ألفاظ عادية فيها ولكنها تعبر عن ابتلاء الشاعر بهذا البلاء الذى عم الورى . وليت أدرى ماذا كان الرصافى يقول لو شاهد الآن الغانيات وهن يدخن فى شوارع بغداد ؟ !

ثم أذكر بيتاً للشاعر العراقى أحمد الصافى النجفى الذى قست عليه ظروف العيش فى بغداد كما قست على غيره فشردته فى دمشق وهذا شأن الحكومات أو الوزارات المتعاقبة على الحكم من تشريد الأدباء وإماتتهم جوعاً كما فعلت بالرصافى، والكاظمى عبد المحسن الذى لولا كرم الأمة المصرية لمات عارياً ، وهذا البيت منشور فى مجموعته الشعرية الموسومة بـ « أشعة ملونة » التى طبعتها جريدة الهاتف الزاهرة لصاحبها الأستاذ جعفر الخليلى على نفقتها الخاصة وهو

تخذتها أمة حتى غدوت لهـا
عبداً ، وها أنا أفنيها وتفنينى

وللأستاذ محمد صالح بحر العلوم شاعر الشعب رباعية جميلة فى وصف السيكارة هى

ذات جسم مستخلص من نضار
حجبت نفسهـا عن الأنظار
فى خمار من اللجين ، شربنـا
من شذاها خمراً بدون خمار
قبل « العود » رأسها فأحست
باحتراق ، واستسلمت بانكسـار
وأذابت أنفاسهـا بدخان   فى فمى ، ذوب جسمها فى النار

والأستاذ بحر العلوم شاعر واقعى يجيد التعبير عن آلام الشعب وله من الدواوين المطبوعة « العواطف » ومن الخطية « الشعب » و « المكشوف » و « الرباعيات » وسأتناول شعراء العراق المبرزين فى هـذا العصر بالتحليل على صفحات الرسالة قريباً إن شاء الله

وقد عثرت على أبيات للشاعر العراقى المرحوم محمد سعيد الحبوبى وهو من شعراء القرن التاسع عشر للميلاد وقد ولد كما يقول جامع ديوانه فى أواخر العقد الرابع وأوائل العقد الخامس من القرن الثالث عشر للهجرة ، يصف بها « النارجيلة » أى « الشيشة » فى لغة إخواننا المصريين الدارجة . . ولاتصالها بالدخان أثبتها هنا ، وهى كما يراها القارئ رقيقة تتسم بالأصالة والعذوبة وهذا هو شأن شعره على المجموع وإن كان لا يخلو من التقليد شأن شعراء عصره. وقد كنت أرجو لو اتسع لى المجال مع الدكتور مهدى البصير الذى سبق أن تكلم عن الشاعر الحبوبى فى سلسلة خطبه التى أذاعها من دار الإذاعة اللاسلكية ببغداد ثم جمعها فى سفر باسم (نهضة العراق الأدبية) !

فن القيـــــادة

للكاتب الفرنسي أندريه موروا
بقلم الأستاذ محمد أديب العامري

(كتب أندريه موروا الكاتب الفرنسي المعروف كتاباً أسماه « فن الحياة » أو بترجمة أدق « فن العيش » وقد ذاع الكتاب أيما ذيوع وترجم إلى عدة لغات منها الإنجليزية

والفصل الذي نقدمه الآن هو واحد من فصول الكتاب. ويلاحظ من الفصل أن القيادة أو الزعامة أو الرئاسة عند أندريه موروا لا تعني قيادة الناس السياسية فقط وكما نميل نحن إلى التعريف ، ولكنها تعني القيادة إجمالا في ميادين الحياة كلها. فالملك قائد، وزعيم الأمة، وقائد الجيش ورئيس الحكومة قادة - ومثل ذلك رئيس المصلحة أو الشركة أو المدرسة أو رئيس جماعة من البنائين مثلا . ولهذا نرى أن الأمثلة التي يضربها موروا مقتبسة من ميادين الحياة المختلفة ، وأنها أمثلة تعتمد على حياة صناعية علمية لا نشهدها كثيراً في بلادنا . فلنصبر على هذه الأمثلة ولنتهمها فإننا جديرون إذ نفعل أن ندرك أهمية الحياة الصناعية، في الحضارة الراهنة) المترجم

لا يستطيع الناس أن يقوموا بعمل مشترك قياماً مجدياً إلا إذا اضطلع واحد منهم بتنظيم نشاطهم جميعاً إلى غاية مشتركة، ويتضح هذا عندما يقوم الناس بأعمال تحتاج إلى شيء من النظام. فمن العبث مثلا أن تقوم جماعة من الناس بإنشاء خط حديدي ، أو تسيير قارب إلا إذا قام عليهم رقيب يضبط حركاتهم . ولن يكون مصير أي عمل تقوم به جماعة دون قيادة إلا الاضطراب والفساد . ويعلم جميع الذين اشتركوا في حرب من الحروب ضرورة القيادة . وما يصح على الجيش يصح على عمال في ميناء أو صناع في مصنع ، أو محررين في مكتب لجريدة ، كما يصح على سكان بلد من البلدان . وخلاصة القول أنه حيثما يعمل رجال عملا مشتركا فلابد لهم من قائد

وفي اللحظة التي يظهر فيها القائد بقيادته، أو الزعيم بزعامته، وحيث تكون هذه القيادة قوية مضبوطة ، يعقب الفوضى نظام واستقرار . وفي الحرب العالمية الأولى كانت الوحدات التي تقاد قيادة فاشلة تتقهقر وتقع في أزمات حتى قيض لها قائد جدير باللقب فتتحول الكتائب إلى قوة ذات رباطة ومقاومة . وقد يبدو على الأمة الواحدة المؤلفة من شعب واحد معروف ، الاضطراب والفوضى ، أو النظام والقوة ، متوقفاً ذلك على ما إذا كانت الحكومة تقوم بمهمة الحكم أو لا تقوم . وبغير هذه القيادة لا يمكن أن تقوم قائمة لعمليات حربية أو حياة وطنية أو نظام اجتماعي

ولقد أخذت الجماعة البشرية طوال تاريخها بقاعدة اختيار قادة أعمالها على أساس يتلو بعضهم فيه بعضاً بنظام هرمي . وقام

والآن نعود إلى أبيات الحبوبي فنعرضها وهي :

ونارجيلة تهـــدى بكف رشا
حلو الدلال رشيق القـــد مياس

ظلت تعربد في كفيه شـــاربة
من ريقه العذب لا من نهلة الكاس

حتى إذا جاد لي فيهـا بثثت بها
وجدي « عيانا » تراه أعين النـاس

حيث الدخان إذا ما جال في كبدي
موهت في نفخه تصعيد أنفـاس

جاءت تزر فويق الماء مئزرها
وفوق مفرقهـا لألاء مقبـاس

أعديتها داء برحائي مما كسة
فالدمع في قلبها والنار في الراس

وقبل أن أختتم هذه الكلمة أود أن أذكر صديقنا الشاعر الأستاذ إبراهيم الوائلي بأن لشعراء النجف الشيء الكثير في وصف الدخان لم أطلع عليه ولعله يتكرم فيذكر لنا شيئاً منه إذ قد حدثني صديق الأستاذ فؤاد عباس معاون عميد الإعدادية المركزية ببغداد وهو دائرة معارف كما يعرف الأدباء بأن لشعراء النجف الكثير في هذا المعنى . لذا يسرني أن أترك المجال للأستاذ الوائلي الآن .. ولعل بهذه الكلمة أشبع رغبة الأستاذ دعبس في وصف الدخان

« بغداد » عبد القادر رشيد الناصري

هؤلاء القادة كل مرة بتأسيس نظام وطدوا فيه لشعوبهم مصائر بلادهم على هذه القاعدة

لكنهم كانوا يستغلون هذا النظام لظلم الشعوب ؛ فكانت هذه تثور فى وجوههم فيضطرب النظام الذى أقيم وتعقبه الفوضى فتعود الأمم إلى بناء هذا النظام من جديد . ولما انهار التركيب الهرمى العسكرى الذى قامت عليه الدولة الرومانية فقدت هذه الدولة قوتها وقام على أنقاضها نظام هرمى إقطاعى لم يتم بناؤه إلا بعد فترة طويلة من الفوضى ولما ألغت روسيا النظام الرأسمالى قام على الأثر نظام من الفنيين ورجال الأعمال أدوا الواجبات الأولى نفسها . وذلك هو السبب الذى يحمل رجال الثورة على الرغم من وعودهم ورغباتهم إلى أن لا يحققوا المدالة التى كانوا ينادون بها . يجب أن يكون هنالك مساواة فى الفرص ، أو كما قال بونابرت تتاح الفرص دون أى مانع لجميع المواهب . ومن الضرورى أن يرغب المرء فى المساواة بين الجميع فى نظر القانون، غير أنه لا يمكن أن تقوم هذه المساواة بين قائد ومقود ، أو فى جماعات ليس لها زعامة

ولقد اكتشفت الانسانية خلال تاريخها الطويل وسائل قليلة لاختيار الزعماء أو القادة . وكان أقدم هذه الوسائل ، الوراثة . وكانت تستخدم دون ريب فى القبائل الرحل فى قديم الزمن حين كان يخلف الأب ابنه الأكبر . وبدون هذا النظام القائم على خلافة الابن الأكبر كانت تتعرض الجماعات البشرية إلى تصدع واضطراب . ونجد فى التوراة مظاهر من هذا الاضطراب كما نجدها فى تاريخ اليونان. وكانت السلطة فى أنظمة الملك القديمة القوية تنتقل فى هدوء كما كان الزعيم الوراثى يتمتع باحترام وتقدير لا حد لها

ولقد كان المركز الممتاز الذى يحتله ملك إنجلترا قائما على هذا الأساس . وأدرك نابليون ذلك إدراكا تاما ، فانه كان يرمى إلى تأسيس ملك عضوض . لقد عرف أن الملك يظل ملكا حتى إذا انهزم أما الإمبراطور الذى ينصب نفسه بنفسه فيحتاج إلى انتصارات متوالية ليظل عرشه قائما

وهذا صحيح أيضا فى الأعمال والدويلات التى حكمتها عائلات خلال أجيال عديدة . وإنك لتجد المديرين والمراقبين والزراع الذين يثورون عادة على السلطان يخضعون لسلطة رئيس العائلة . ولا يعود هذا الخضوع إلى العادة وحدها ، ولكنه يعود كذلك إلى شعور طبيعى وتفكير معقول بعض الشئ . فالأب يستطيع أن يورث ابنه تقاليد الزعامة وأعرافها كما يورثه التفانى فى خدمة العائلة . والقائد الوراثى كالملك الوراثى يحس برابطة تربطه بعائلته أو ببلاده — رابطة من الشرف تتطلب التضحيات . ولقد رأينا من ذلك أمثلة رائعة فى فرنسا خلال الأزمة الاقتصادية التى مررنا بها منذ عهد قريب

أما خطر القوة الوراثية فهو أن يكون الابن الأكبر للعائلة الحاكمة غير ذى شخصية ، أو حتى غير ذى عقل كامل . فهل من اللازم فى مثل هذه الحالة أن توكل الأمور إلى رجل لا يقدر على القيادة ؟ كلا ! وقد عمدت بعض البلاد التى يقوم فيها مثل هذا النظام من الوراثة ، إلى استثناءات لا تمكن من الحكم الزعيم الوراثى الذى لا يليق للقيادة . ففى بريطانيا عدل نظام الإرث الملكى مرات عديدة بطرق برلمانية . وحدد رجال الأعمال الكبار فى الولايات المتحدة أثناء حياتهم حدود السلطة التى قد تنتقل إلى أبنائهم لا يستطيعون أن يخلعوهم . فاذا لطفت السلطة الوراثية عما يتطلبه الحس العام وسيطرة من البرلمان أو المجالس التمثيلية ، فانها تكون ذات صفات طيبة كثيرة .

وأهم ما يجب أن يمتاز به زعيم هو أن يعترف له الناس بصفة الزعامة . وجميع الزعماء الذين لا يقر لهم المجموع زعامتهم كاملة ، تنقصهم القوى الكافية لهذه الصفة الكبرى . والزعيم الذى ينتخب انتخابا يجب أن تكون له سلطة تامة على الذين انتخبوه؛ ولكن يقع أحيانا أن تكون الصفات التى اختير من أجلها الزعيم كالفصاحة وحسن الخلق غير الصفات المطلوبة فى موقف معين ، فيعود ضعيفا غير قادر على معالجة الأمور . وكذلك الحال فى أمة تتقاسمها الأحزاب . فالزعيم المنتخب فى هذه الحالة إنما يمثل ما يقارب نصف المنتخبين ، فإذا أحس الباقون تجاهه بشئ من الكراهية ، تعرضت الدولة للخطر . ولقد رأينا مرات عديدة بلادا عظيمة تقع فريسة الشك والهزيمة لأن زعيما لها اختارته الأغلبية لم يملك ثقة جميع الشعب

واختيار الزعيم أو القائد عملية أشد خطرا عندما يدور الأمر لا على سلطة تقوم فى بلاد بكاملها ، ولكن على سلطة تقوم فى

جماعة أصغر وخاصة عندما يمارس الزعيم سلطته مباشرة،أو يكون معرضاً لتجديد الانتخاب مرة بعد أخرى في فترات معينة والسؤال الذي يرد هنا هو كيف يستطيع الزعيم أن يكسب طاعة الناس الذين سيتملق أصواتهم بعد قليل؟ إن انتخاب رئيس لمشروع ، أو قائد كبير لجيش ، بطريق الغالبية في الأصوات أنما تهيء الدمار للمشروع أو الهزيمة للجيش . ولقد أدركت هذا بسرعة إدارات المشاريع والأعمال فرغبت عن الطريقة أكثر البلاد إحساسا بالديمقراطية ونبذتها. وهي تستعيض عن ذلك بأن يختار وكلاء القادة أو أعضاء مجلس الأعيان أو رؤساء الدوائر اختيارا انتخابيا وهؤلاء الوظاءون تنفيذيون ، أو هكذا يجب أن يكونوا ، وليسوا قادة بحال من الأحوال . ومن الخطر جدا أن تجزأ الأعمال على صورة تحول دون الإجراءات اللازمة . فدستور الولايات المتحدة الأمريكية منشأ على شكل يجعل البلاد دون سياسة خارجية على الإطلاق فترة ما يكون الرئيس والكونغرس على خلاف . ويقع ذلك مدة سنتين كاملتين . وهذه حالة مضرة ضررا شديداً بأمريكا وبأمم أخرى مثلها . أما للطريقة الإنكليزية فإنها تؤدي غرضها تأدية أفضل ، لأنها أكثر مرونة وطواعية

ومن أساليب اختيار القائد أسلوب الامتحانات ، وفي هذا الأسلوب يحوز المرشح للرئاسة شهادة عملية . وقد استعملت هذه الطريقة سابقا في الصين . وهي تستعمل الى حد محدود في فرنسا هذه الأيام . فاذا أراد فرنسي أن يتبوأ مقاما في الجيش أو في السلك الدبلوماسي أو في دائرة حكومية وجب عليه أن يجوز امتحانات معينة . ويبدو لأول وهلة أن هذا النظام عادل ، لأن المتنافسين فيه يخضعون لظروف واحدة؛ ولكن له مساوئ خطيرة فالرجل الذي تتفتح قواه الذهنية ببطء والذي يمكن أن يثبت قدرته على القيادة في الأربعين من عمره يمنعه السن من الاستفادة من قواه . ثم إن الصفات والخصائص التي تكون القائد الحسن لا تظهر أغلب الأحيان ولا تعرف عن طريق الامتحان. ولا يتردد « بول فاليري » في القول بأن أعظم شرور اليوم هي الامتحانات والشهادات

ويتخذ هذا الأسلوب من الترشيح للقيادة شكله الأشد حين تكون الترقية أيضا خاضعة للامتحانات . وهذا هو الحال في مهنة الطب في فرنسا . وفي الجيش يجد الرجل أمامه المدرسة الحربية وكلية الدراسات العسكرية العليا ، إذ يجب أن يؤدي امتحانا مهما . غير أن الأقدمية في العمل ووساطات أصحاب الوساطة لها أثرها في التقدم كما تفيد الانتصارات أثناء الحرب

ولا يمكن أن نقول شيئا كثيرا عن الأقدمية ، فمن الواضح أن الناس يكسبون خبرة كلما تقدموا في السن إلا إذا كانوا شديدي الكسل والبلادة ، أو شديدي العناد إلى حد يمنعهم من أن يتعلموا شيئا . غير أن هناك عددا كبيرا من المتقدمين في السن يمكن أن يختار أحسنهم بالنظر إلى شهادات الولادة ، وعلى هذا الأساس تجري تعييناتهم

ومن أكثر الطرق مطابقة للمنطق أن يعين رؤساء الأعمال الرجال الذين يلونهم في المناصب . وفي هذه الحالة يضطرون إلى الاعتماد عليهم وإلى أن يكونوا مسئولين عن أعمالهم . ويعين الملك الوراثي أو الرئيس المنتخب رئيسا للوزراء ، بعد موافقة البرلمان أو الجمعية الحاكمة . ثم يختار رئيس الوزراء . ثم يعين الوزراء الموظفين في دوائرهم المختلفة . وهنا يبني الهرم بالبداية من رأسه ثم النزول إلى أسفل ، وهي عملية ناجحة من الناحية الإدارية وإن تكن غير معقولة بالطبع في إقامة بناء

وهذا النظام حسن ولا ريب على قدر ما يمكن أن تكون أعمال البشر حسنة . والمبدأ فيه حكيم، ولكن الجهاز مع ذلك لا يعمل عملا كاملا . فجميع التعيينات ما عدا الرئيس وعددا من الوزراء السياسيين ، ومنها تعيينات الرجال الفنيين ، يجب أن تقوم على أساس القدرة التكتيكية والمتانة الأخلاقية . إن مصلحة البلاد ومصلحة الذين يقومون على حكمها هي أن يكون قائد الجيش أو مدير مصلحة السكة الحديدية مثلا رجلا من الطراز الأول ، مهما كانت نزعاته السياسية أو الدينية ، وكائنة ما كانت علاقاته وأصدقاؤه . وليس من الممكن أن يمتنع الناس عن أن تكون لهم عواطف ، فالصداقة والقرابة والصلات الحزبية لها أثر كبير في التعيينات ، وهذا أمر يؤسف له أحيانا ، إذ من الواجب أن نسيطر جميعا على أنفسنا حتى لا تتأثر المواهب تأثرا يضير المصلحة

وفي النظم التي تخلق الزعيم أن يتقدم رجل على أثر ما تقع الأمة في حال من الفوضى ، فيفرض نفسه عليها فرضاً .

شوق على قرب

للأستاذ ثروت أباظة

جلس إلى وفى عينيه قالة تترقرق ، وفى شفتيه بسمة تبدو وتغيب ومض البرق الخاطف ، وعلى وجهه أسى من ظن الخير فى غير مكانه. رأيت كل هذه التعبيرات على وجهه فكان يخيل إلى أنى أرى مقالة رمزية عن حرب طحوق نمتمل بنفسه ، فهششت له وهو الصديق الذى أصطفيه فأصفيه نفسى كلها . هششت فما زاد على أن ثبت من تلك البسمة الوامضة على فمه فإذا وجهه كله مشرق بضحكة آسية .. قلت :

— ماذا ؟ لقد كنت على أحسن ما أرجو لك بالأمس

« إن كرومويل » لم تعينه سلطة عليا ، وإنما كان رجلا غامضا يقود عددا قليلا من الفرسان . وقد رفعت الثورة « بونابرت » إلى مركز جنرال ، ولكنه جعل من نفسه قائدا للأمة . وهنالك أمثلة حديثة تخطر ببال كل واحد منا . ومما لا سبيل إلى الشك فيه أن الزعيم الذى يتبوأ مركزه عن طريق القوة زعيم يتمتع بالصفات اللازمة للزعامة ، ولو لم يتمتع بهذه الصفات لما تمكن من القوة التى تبوأها بفرض نفسه . والصعوبة ههنا أن تكتشف ما إذا كانت مواهب الزعيم مواهب رئيس حزب أو قائد أمة .

فإذا استولى زعيم على السلطة بنفسه واجهنا صعوبة إيجاد من يجئ خليفة له . فابن كرومويل لم يحكم طويلا، وابن بونابرت مات فى المنفى . وقد كره خليفة « لينين » ما كان قد تم من قبل فأتى عليه

ومن الحق أن نعترف بأن اختيار قائد مشكلة ليس لها حل صحيح ، وإنما الأمر يتوقف على الظروف السابقة. وعلى أهداف الأمة فى المستقبل . لكن شيئا واحـــدا نعرفه وهو أن الزعيم لا يستطيع أن يتمكن من مركزه منتخبا كان أو معينا ، وارثا أو مغتصبا ، إلا إذا حاز جميع الصفات المطلوبة فى الزعيم

(للكلام بقية) محمد أديب العامرى

— لا شئ

— لا شئ ؟ منذ متى تدخل هذه الكلمة فى حديثنا ... لا شئ ! أغبى أنا لا أعرفك ! أأسألك ماذا بك ولا يكون بك شئ ... أم تراك تخفى أمرا ؛ فإن كان كذلك فدعنى أولى عنك الوجه فلست صديقك بعد اليوم ... أترى سرى كله وتخفى عنى ألمك ... ماذا بك ؟ انطق

سمع الرجل الحديث وهو مطرق إلا بضع لحظات حاول فيها أن يجيب ولكنه احترم دفعتى تلك فعاد إلى إطراقه حتى أتممت فإذا هو رافع إلى دمعتين صافيتين ... يقول

— أشكرك على ثورتك فقد أرجعت لى نفسى

— وأين كانت ؟

— تبحث عنك

— عنى ... حذار أن تكون الثورة قد طغت على عقلك . . تبحث عنى تقول وأنا لا أكاد أرى أحدا قدر ما أراك ... أجننت ؟

— أنت ترانى نعم ولكننى لا أراك أبدا

— لا ترانى ؟ لا ... لابد أن الثورة قد مست عقلك ... حسبى الله ونعم الوكيل ... أأنظر إليك من خص ؟ كيف أراك فلا ترانى ؟ أنتكلم كل يوم وليس بيننا من البعد إلا بقدر هذا المنضد ... ثم أراك فلا ترانى ؟ أجننت رجل

— وأنا اليوم لم أرك إلا حينما ثرت

— إنك اليوم إما مجنون لم تعلم به الهيئات المختصة بعد ، أو حكيم عالمى لم يشرق اسمه قبل . فأيهما أنت ؟ لا يمكن أن تكون رؤيتك لى محتاجة لكل هذه الثورة . أيهما أنت

— أنا صديقك

— أو يغنيك هذا عن أن تكون إما مجنونا أو حكيما. أتظن أن كونك صديق يعفيك من ...

— أراك تطيل الحديث ، اسمع ... لقد جئت اليوم مجلسك ورأيتك ولكننى جلست إليك أبحث عنك حتى ثرت هذه الثورة فوجدتك؛ كنت قد فقدتك و كنت مشتاقا إليك الشوق كله . حتى ثرت فنديت الشوق ونقمته . كنت إذا رأيتنى فى



على قبر عبد العزيز فهمي باشا

للاستاذ احمد عبد المجيد الغزالى

ألقى الشاعر هذه الأبيات على قبر فقيد الوطنية عبد العزيز فهمي باشا ببلدته « كفر المصيلحة »

نوديت فى ألق الصباح الباكر فمضيت أطهر من نداء الطاهر
تسمى ويسمى النور حولك زاخراً فى موكب جم المآثر زاخر

الأيام القليلة الماضية كلتنى بنفس غير خالصة وقلب غير مقبل ؛ وكنت أحس فى رنين صوتك شيئاً غير الذى تنطق به فأكتم نفسى على حسرات ، وفقدتك لقد عرفت عنى أمرا فكتمته وسعيت وراءه تبحث عنه حتى تبين لك كذبه فكنت فى فترة البحث تزور عنى بنفسك وتقبل على بلسانك ، كنت تثور بى كما كنت تثور بل كنت هادئ القول ثائر النفس وقد عهدتك قبل ثائر القول هادئ النفس ... ففقدتك ... وفقدت معك نفسى وانطلقت منى تبحث فى أيامنا الحلوة الماضية وترجع لى منها بصور شوهتها نفس فقدتك ولكنها مع هذا تحبك فهى تقبل على تلك الصورة فى لهفة مشتاق يحن إلى هاته الأيام ... واليوم ثرت بى ... قد تبينت لك الوشاية فوجدتك ... أرأيت إذن كيف فقدتك وليس بيننا إلا هذا النضد الذى تجلس إليه الآن ؟ واليوم أجدك وإن ذهبت بك الأيام إلى أقاصى الأرض أرأيت أنى ؟ لم أكن ملكا لم يظهر قبل ولا مجنونا لم يحبس بعد ... بل أنا أنا من تعرف

— وأنا من تعرف . أبقاك الله لى صديقا حين يعز الصديق، وأبق لى نفسك حلوة تشتاقنى على قرب إذا مل قربى كل صديق، وتبحث فى البعد عنى إذا لم يحس ببعدى كل رفيق . . أبقاك الله

ثروت أباظة

يعنى به التاريخ ، يقظة ساهر فى ليله الداجى ، وصرخة ثائر
وإباء حر ، واستماتة حازم وعناد جبار ، وغضبة قادر
لفوك فى العلم الذى أعليته ورفعته بيد الكريم الكابر

* * *

خضت المصارع لم يفزعك الردى ومشيت فى عنت الزمان الجائر
ثبت الخطى ، لم تدمك الأشواك فى حلك الظلام المدلهم الغامر
لم تدر ما القيد الذليل ، ولم تطق أن يرسف الأسرى بقيد الآسر
فطويت عاتيه ، ورضت حديده بهدى رشيد ، وابتسامة ساخر
وسريت فى ليل الخطوب ، فلم يزل من همة السارى التحيل الضامر
لله ما صنعت يداك ، وإنه ذكر يدور مع الزمان الدائر
زادتك أحداث الجهاد صلابة هى نعمة الله القوى القاهر
هذا الذى أضفى عليك خلائقاً أزكى من الزهر الندى الناضر
فانعم به جاراً ، وعش بجنانه بين النعيم السرمدى الزاهر

أحمد عبد المجيد الغزالى

بين شاعر وسيجارة

للاستاذ محمود محمد بكر هلال

أغرت السيجارة الشاعر بأنفاسها العطرة ، فجرى فى حبال هواها ، وجاذبها قبلة بقبلة ، وبادلها حبا بحب ، ولكنه عندما اضطرمت أنفاسها فى صدره ، واضطربت قبلاتها على ثغره ، سئم هواها ، ومل أنفاسها ، فهجرها الى غير عودة ، ونأى عنها على غير ميعاد ، فكان بينهما هذا الهجر ، وذلك العتاب ... !

الشاعر

جاءت تراود فى هواده وتشوقنى فى دل غاده
أغرت فى قبلاتها فغدت ازاءها كالعباده
وتنسكت فى حبها لى وارتدت ثوب الزهاده
ما زلت أهواها وأطـــلب من مباسمها الزياده
إن غاب عنى ثغرها فقد النهى منى رشاده
حتى صحوت عشية وإذا بها ولها السياده !



شاعر العقيدة

تأليف الأستاذ محمد تقي الحكيم

للأستاذ ابراهيم الوائلي

لعل مدينة النجف الصغيرة هي ثالثة المدن العراقية التي احتضنت تراث العرب والمسلمين بعد بغداد والحلة ، وقد كانت مثابة لطلاب العلم ومجالا فسيحا للغة العربية وآدابها في أواخر العصر العثماني ، وكان تميزها بكثرة النوابغ من الشعراء — عدا العلماء والمؤلفين — ظاهرة يعترف بها التاريخ في أوسع مصادره الحديثة، وكادت تفقد مركزها الأدبي في السنوات الأخيرة لو لم يتح لها جيل جديد ينشط للبحث والتطلع ويسير في الموكب الصاعد ، فكانت (جمعية الرابطة الأدبية) ذات طابع شعري معروف ، وإلى جانبها جمعية (منتدى النشر) وقد أسست لتجمع بين القديم والحديث . والتف حول مناهجها ودروسها طائفة غير قليلة من شباب النجف والمدن الأخرى ، وهي تعمل في شكل فصول وامتحانات كما يفعل الأزهر في مصر ، ولم تكتف بالدرس العلمي والبحث اللغوي بل دفعت هؤلاء الشباب إلى مجال الأدب الواسع يقرؤون ويهضمون ثم يكتبون وينشرون ، ومجلة (البذرة) هي منبرهم الذي يتبارون عليه ، وكانوا يتيحون لنا — هم وأساتذتهم — أن نستشف خلال تلك المسارب الضيقة ومضات تبشر بوجود قوة الاستمرار لتلك الشعلة التي طالما توهجت على ربوة النجف الخضراء في قرون كثيرة ، وبالرغم من أن العناصر الرجعية من (الرسميين) وغيرهم لا يريدون لهذه الجمعية أن تسمى في طريقها الإصلاحي فإنها بقيت تصارع وتعمل

سيجارة غدارة قد حرمت جفني رقاده !
هيفاء تغري كل ثغـر بالصبابة والوداده
طالعتها وأنا المحب فبددها عني سعاده !
ماذا يفيدك من دخا نك بعد ما تذرو رماده !؟
إما اضطراب في التنفس قد يجر إلى الشهاده !
إما سعال فاتك يدعو إلى باب العياده !
صدر الدخين كالظلا م فلن ترى إلا سواده !
خير الأمور لعاقل ألا يكون أسير عاده !
من لم ينصح فلا نصح لمثله فينا القياده !

السيجارة

أنسيت أني راحة من كل نازلة وسلوى ؟
أنسيت باعثة الخيا ل إذا النهى أكدى وأقوى؟
قبلات ثغري متعة وحديثها همس ونجوى !
تحنو على إذا ظمئت فتحتسي مني وتروى
أنفاس غانية من القبلات والصبوات نشوى !
في جوها سبح الخيا ل بكل ما تصبو وتهوى
تتصاعد الأنفاس في دنيا من الآمال تطوى
فكأنها الغيم الرقيق يراقص الأفكار زهوا
فلم التباغض والقلى وأنا التي بالنار أكوى ؟
أيليق هجران الحبيب وحفظه للود يروى ؟
أنسيت أن الهجر بعد الوصل للعشاق بلوى !
راجع فؤادك فالمحب على التباعد ليس يقوى

فأجاب الشاعر:

أبداً فلست براجع عن هجرها طول المدى !
من ذا الذي يهفو إلى ثغر ثناياه الردى ؟
آليت لا أصغي لها أبداً وأتركها سدى !
لو زحزحت جبل المقطم ما مددت لها يدا !

محمود محمد بكر هلال

بجهود وهدوء فى سبيل رسالتها العلمية والأدبية .

وقد استثمرت هـذه الجمعية جهادها فى التأليف والكتابة فكان إنتاجها ضخما فى الكم والكيف بالرغم من أن عمرها لا يتجاوز خمسة عشر عاما . ومن ثمرات هـذا الجهاد كتابان تفضل بهما على مؤلفاها الكريمان وأنا فى مصر ، وأول الكتابين (السقيفة) لفضيلة الأستاذ محمد رضا المظفر معتمد الجمعية ، وثانيهما (شاعر العقيدة) للأستاذ محمد تقى الحكيم سكرتير الجمعية ، أما الأول فليس من السهل أن أتحدث عنه دون أن أتوفر على دراسة التأريخ الذى تكونت منه فصول الكتاب ، وكنت أود أن يكون غيرى هو الذى يكتب عنه ، لذلك سأتناول الكتاب الثانى بشئ من العرض والتعريف وتسجيل بعض الملاحظات بقدر ما تسمح به صفحات الرسالة

(شاعر العقيدة) — كما أراد أن يسميه الكاتب — هو السيد إسماعيل بن محمد الحميرى وقد أدرك أواخر العصر الأموى وعاش بقية حياته فى ظلال العصر العباسى حيث تتصارع الأفكار السياسية والعقائد الدينية وتتشعب الدروب بسالكيها شعبا متعددة ، فهناك بقايا الخوارج الذائبين ، وشيعة تجمعهم هـذه الكلمة فى معناها المادى وتفترق بهم مناحى التشيع فى مسالك شتى . وهناك طائفة السنة التى كانت تسيطر على السياسة والحكم ، وفى هذا المضطرب الواسع كان السيد الحميرى يصطرع مع السياسة والعقائد حتى استقر به المطاف على مذهب التشيع السائد الآن فى العراق . وكان تأثير السياسة والعقائد واضحا فى شعره وبخاصة الظاهرة الأساسية من ظواهر التشيع وهى (الإمامة) فقد كان يلح بشعره على حديث البيعة وقصة (غدير خم) التى كانت بعد حجة الوداع كم ترويها الكتب التى أوصلها المؤلف إلى ثلثمائة ، ومعظمها — كما يقرر — مروى عن طرق السنة

وقد أراد المؤلف الفاضل أن يلم بدراسة هـذا الشاعر ويستخرج من المصادر المتفرقة صورة تطمئن إليها النفس عن نسبه وحياته العقلية والمادية والأدبية والدينية ، وقسم الكتاب إلى قسمين : أولهما : فى نشأة الشاعر وتقلبه فى مراحل العقيدة وشعره الذى يصور هذه العقيدة ، وثانيهما : دراسة هـذا الشعر على ضوء النقد والتحليل ، وقد وفق الكاتب فى القسم الأول حين عرض لنشأة الشاعر فى البصرة وتطوره من خارجى — ورث ذلك عن أبويه — إلى شيعى كيسانى فجعفرى . وصراعه مع أبويه اللذين ينكر عليهما بغضهما الإمام عليا وينكران عليه تشيعه ، كما أن وصف البصرة وما فيها من حلقات علمية ودينية واختلاف السيد الحميرى إلى هـذه الحلقات التى انتهى منها بالتشيع ، وتحدث عن صلته ببقايا الأمويين ثم العباسيين . وقد كان فى كل ذلك يقارن ويوازن ويدرس الروايات المتناثرة ثم ينتهى منها إلى رأى أو حكم لا يخلوان من أصالة فى معظم الأحيان . ولكن الذى يؤاخذ عليه الكاتب الفاضل أنه وزع البحث توزيعا يكاد يضطرب على القارئ فهو لم يعقد فصلا خاصا عن أثر العقيدة فى شعر الحميرى بل نثر هذه الظاهرة البارزة فى أماكن مختلفة لو أتيح لهـا أن تلتقى فى مكان واحد لكانت فصلا قيما . ولعل هذا العنوان الذى اختاره الكاتب يكاد يتضاءل عند التطبيق على فصول الكتاب . فقد كان الأجدر به أن يعقد فصلا خاصا بالبيئة المصرية فى مختلف نواحيها ، وفصلا عن نشأة الشاعر والتقلات المذهبية التى رافقت حياته ، ثم فصلا عن أثر هذه العقائد فى شعره إلى جانب الأثر القبلى ، وأن يكون البحث فى صلة برجال الحكم والسياسة مستقلا إلا بمقدار ما يتصل بالعقيدة . على أنى لا أنكر — كما قلت — أن الكاتب قد تعرض لذلك بإسهاب ولكن منهج البحث قد اضطرب عليه . أو أنه اختار لنفسه منهجا أدى به إلى هذا التقسيم المشوش . وإذا كان الكاتب قد استعان — كما يقول — بعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما فإن استعانته تكاد تتضاءل فى المواطن المهمة ومنها تصوير المجتمع تصويرا واضحا ليصل منه إلى دراسة الشاعر دراسة واضحة ، ثم دراسة العقيدة الدينية من حيث هى بوصفها ظاهرة اجتماعية وبوصفها عاملا قويا فى تكوين حياة المرء وسلوكه الخارجى وما ينتجه هذا السلوك من صور أدبية ، ثم تطبيق هذا الإنتاج على مظاهر تلك العقيدة ، لاشك أن اضطراب المنهج أضاع على الكاتب أن يجمل من تلك الدراسة المتينة فصولا

يستقل أحدهما عن الآخر ليصح معها التدرج المهجى ، وهذا الاضطراب هو الذى أوقع الكاتب فى زاوية ضيقة المنافذ حين تحدث عن صلة الشاعر بالعصر الأموى المحتضر وموقفه من ذلك العصر فقد قال :

(.. وقد كان لها — أى الدولة الأموية — من سياستها « المكيافيلية » الوصولية التى كانت تبرر فى سبيل الملوك إلى غايتها أية وسيلة دنيئة ما يحسن الرأى العام ويحفزه إلى نقد أعمالها والنقمة عليها .. وهذا ما يعلل كثرة الناهضين عليهم من القادة والعاملين على تقليص نفوذهم . على أن كثيرا من الناس — ومنهم صاحبنا — كانوا لا يقرون لها خلافة ولا يرونهم أهلا لها مع وجود أربابها الشرعيين من أهل البيت .)

أليست هذه العبارة مضطربة لا تلتق عند النقطة التى يجب أن تلتق عندها فى حياة الشاعر وعقيدته؟ فلو أن الكاتب الفاضل أشار إلى العقيدة الإسلامية من حيث هى وتعرض للنص الصريح فى الصفات التى يجب أن تتوفر فى الخليفة واعتقاد الشاعر هذا النص لانتهى إلى تحديد الثورة عند الشاعر واكتفى بالفقرة الأخيرة ولم يتعرض إلى سياسة الأمويين (الميكيافيلية) فالثورة هنا هى ثورة عقيدة دينية هاشميـــة علوية لا ثورة على السياسة (المكيافيلية) لأن العباسيين لم يكونوا بأقل (مكيافيلية) من الأمويين؛ ومع ذلك فان الشاعر وقف يمدحهم ويؤيدهم. وقد أشار الكاتب الفاضل إلى هذه النقطة الأخيرة متفقا مع الدكتور طه حسين فى حديث الأربعاء على مدح السيد الحميرى للعباسيين وأنه لم يكن عن تقية : (لأنهم من بنى هاشم وبنو هاشم بالنسبة إليه على حد سواء)

أما دراسة هذا الشعر من حيث قيمته الفنية ومقدار استجابته للصدق فى التعبير والشعور فقد كان الكاتب موفقا إلى حد كبير فيها ، وقد تعرض لمقدار الثروة الشعرية التى خلفها ، واضطراب الرواة فى تقدير هذه الثروة ، وأشار إلى آراء النقاد الأقدمين فى قيمة هذا الشعر ، وأضاف إليها شيئا من آراء المحدثين — وقد أعجبنى من الكاتب لفتته البارعة إلى شعر الحميرى بقوله :

« فبعضه يرتفع بصاحبه إلى القمة وبعضه الآخر يهبط به إلى الحضيض ، ووسط بين هذا وذاك . » كما أنه أشار إلى أن بعض هذا الشعر يكاد يدس على الشاعر وينسب إليه نسبة لا تليق بذلك العصر . هذه لفتة بارعة — كما قلت — وقد عرض عليها بعض القصائد المدسوسة ، أو التى انحط بها الشاعر ، ولكنه نسى أن يعرض عليها قصيدته المشهورة التى شغلت شيئا من جهد الكاتب فى معرض الحديث وهى :

لأم عمرو باللوى مربع طامسة أعلامها بلقع

إنى أشك فى كثير من أبيات هذه القصيدة لا افكرتها وموضوعها ولكن لوسيقاها اللفظية وانسجامها مع ذلك العصر الذى اشتهر بجودة الاختيار وحسن الإيقاع ، فقوله :

فعندها قام النبى الذى كان بما يؤمر به يصدع
يخطب مأمورا وفى كفه كف على ظاهرا تلمع
رافعها ، أكرم بكف الذى يرفع والكف (الذى) يرفع

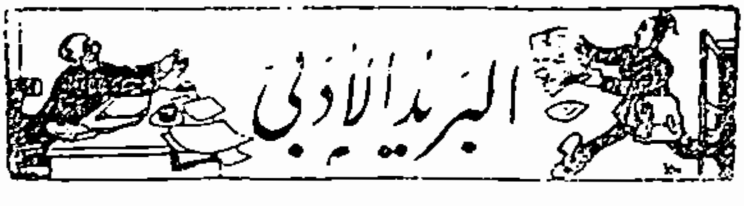
إنها فكرة السيد الحميرى التى يرددها فى معظم قصائده ولكنها ليست موسيقاه ولا ألفاظه بغض النظر عما فى بعض أبياتها من اضطراب فى النحو واللغة

وقد كنت أود ألا يقتحم الكاتب باب الغزل والنسيب وما يتصل بالمرأة فى هذا الكتاب لأن العنوان لا يتحمل أن يندرج فيه ماليس منه

أما أسلوب الكاتب فيبدو قصصيا فى بعض الصفحات وبخاصة فى حديثه عن نشأة الشاعر الأولى ، وخطابيا فى بعضها الآخر ، وهو فى الأول متأثر بأسلوب الدكتور طه حسين

ومهما يكن من شئ فان فى الكتاب ذخيرة من بحث واطلاع لا يتوفران إلا للقليل من الشباب الباحثين ، ولعله من خير ما كتب عن السيد الحميرى فى الأيام الأخيرة وإذا كانت هناك ملاحظة أخرى فهى ملاحظة شكلية تتعلق بطبع الكتاب فقد كنت أود أن يطبع طبعا معتنى به ، ولقد نسيت أن أقول إنه الحلقة الحادية عشرة من سلسلة (حديث الشهر) التى يصدرها فى بغداد السيد عبد الأمير السبيتى وهذا جهد يشكر عليه

القاهرة ابراهيم الوائلى



لكل جواد كبوة

أخي في العروبة والإسلام الأستاذ أنور المعداوي

سلام الله ورحمته وبركاته عليك. وبعد فهل لهذه الكلمة الوجيزة مدخل في باب تعقيباتك كما كان للكلمة التي دعت إلى كتابتها ؟ ؟ أجل إن في رحابة صدرك وكرمك مالا يضيق بها ولا يضن عليها بالنشر

في الصفحة التاسعة عشرة بعد المائة من العدد السادس عشر بعد التسعمائة من مجلة الرسالة كلة كنا — وكان كل عربي صادق العروبة وكل مسلم صحيح الإسلام — نربأ بمجلة الرسالة — وهي مجلة العروبة جمعاء — أن تدنس إحدى صفحاتها بها — وكنا — كما كان غيرنا — نجل تلك الصحيفة الكريمة أن تكون فيها كالقذاة في العين النجلاء.

هي (فهناك طائفة الوهابية وطائفة الإسماعيلية وطوائف أخر تتحدى وتنذر وتبذر بذور الشك في عقيدة المسلمين على مرأى ومسمع من علماء الإسلام الذين أطالبهم ويطالبهم معي آلاف الشباب الأزهريين أن يضعوا حدا لهذه المهزلة العلمية وأن ينتجوا إنتاجا يتحصن به أبناؤهم ضد هذه التيارات المتباينة والآراء الخطيرة. ولست أول من جهر بهذا الرأي فقد سبقني إليه أساتذة أجلاء أذكر من بينهم أستاذي الدكتور محمد يوسف موسى. (محمد إبراهيم الخطيب — كلية أصول الدين)

يا سيدي الأستاذ إذا كان هذا مبلغ طلبة كلية أصول الدين من العلم عن دينهم، وهذا غاية ما وصلوا إليه من معرفة آراء الفرق الإسلامية واختلاف مذاهبها ومعتقداتها — أيصح أن يتقبله أستاذ مثقف واسع الاطلاع حر الفكر صافي العقيدة على علاته تقبل المطمئن إليه، الواثق به، المقتنع بصحته، العارف بما يرمي إليه، تقبلا ووثوقا واقتناعا ومعرفة برز أثرها في (التعقيبة) التي اختتمها الأستاذ المعداوي بقوله (حسبنا هذا وحسب الأديب الفاضل أن يكتفي منا بهذا التعقيب، وحسب القراء أنهم استمعوا لهذه المشكلة من هذا الطالب الحزين) ؟

طائفة الوهابية في أول (قائمة) الطوائف التي تنذر وتبذر بذور الشك في عقائد المسلمين ؟ «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا — سبحانك هذا بهتان عظيم»

ليس الأستاذ المعداوي وليس أستاذنا الكبير الزيات وليس قراء مجلة الرسالة — وهم الصفوة المختارة من أبناء يعرب وعدنان — في حاجة إلى التدليل على أن أولئك القوم الذين ينبزهم الشعوبيون المغرضون بلقب (الوهابية) لا تميزهم عن غيرهم من المسلمين ميزة في معتقداتهم — ولا ينفردون عنهم برأي ديني ولا يذهبون إلى قول من الأقوال التي تخالف ما عليه الصدر الأول من المسلمين — النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم بإحسان وأنهم يستقون التعاليم الدينية من معينها الصافي من الشوائب والكدر — القرآن الكريم والصحيح من سنن المصطفى عليه صلوات الله وسلامه

للطالب في كلية أصول الدين واسع العذر بجهله حقيقة الإسلام إذا كان — كما يقول في كلمته — يدرس في كليته العقيدة دراسة أشد تعقدا من ذنب الضب ... لا يكاد يصل إلى نتيجة في بحث إلا وجدها مهددة باعتراضات بيزنطية أشد فتكا بالعقول من القنابل الذرية ... وله أن يجهل أنه يسيء بكلمته إلى قسم عظيم من إخوانه المسلمين في الوقت — بل في اليوم — الذي يقوم فيه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتكريم رئيس علماء ذلك القسم

إي أخي أنور — إذا كان مبلغ الدكتور محمد يوسف موسى من العلم — ونعوذ بالله أن يكون ذلك مبلغه — وإذا كانت غاية ما وصل إليه في دراساته — ونجله قدرا من أن تكون تلك غايته — إذا كان مبلغه من العلم وغايته هو أن يجهل من حقائق الإسلام الصحيحة ومن مذاهب أهلها ما علمه المستشرق اليهودي (جولد زيهر) الذي اشترك الدكتور في ترجمة كتابه

(تاريخ العقيدة والشريعة فى الإسلام) فملئ الغرب وجامعاته وشهاداتها العالية — العفاء —

وبعد فهل تقبل أيها الأستاذ هذه التحية المشوبة بشئ من العتب

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب

(الرياض) محمد الجاسر

شيخ الناشرين:

قال لى صاحب من أهل الأدب إن آل المرحوم مصطفى محمد شيخ الناشرين احتفلوا بمرور أربعين ليلة على وفاة عميدهم، وإن أحداً من الأدباء لم يذكر هـــذا الجندى المجهول فى مقالة أو بعض مقالة

والحق أن مصطفى محمد خدم الأدب وأنشأ أدباء، ولم يكن هو أديبا ولا شبه أديب وإنما كان من أولئك الوراقين الذين يعرضون بضاعتهم المزجاة للقارئين — وما أقلهم — ثم سما به الجد فجعل من نفسه « حاميا » للمؤلفين كما كان يحلو له أن ينعت نفسه فى بعض الأحيان

ولقد عرف المستشرقون قدر مصطفى محمد فنوه كثير منهم بالمؤلفات التى نشرها وأذاعها، وبصرنا باسمه فى أكثر من ثبت، وفى غير فهرس

ولم يكن — رحمه الله — يؤمن بالإعلان عن المؤلفات فعنده أن القارئ يطلب الكتاب واقعا حيث وقع فلا جدوى — فى رأيه — من الإعلان والبروباجندا!

وكان مصطفى محمد يفخر بأن بعض الشباب الناشئين الذين قدمهم إلى جمهور القارئين بلغوا على يديه من الجد والشهرة حتى وصلوا إلى أعلى المناصب

وكان — رحمه الله — عيوفا إلى حد التكبر، فما عرفنا أنه طلب إلى ذى منصب حاجــة إلا فى إباء وكبرياء وكان لا يقبل الدنية فى دينه ولا فى دنياه، ومن هنا كان الدين الذى له فى أعناق عارفيه كبيراً. ومع هذا لم يؤد أحــد منهم بضعة من هذا الدين. وإذا استثنينا رصفاءه من أصحاب المكتبات والمطابع فان أحداً من المؤلفين والأدباء لم يذكره بكلمة خير يوم منعاه!

إن مصطفى محمد من أولئك الجنــود المجهولين الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم، وساوى ولا وعن ولا هان. ولئن عاش مجهولا ومات مجهولا، فحسبه أن يذكر فضله فى ذمة الله. عليه رضوان الله

منصور جاب الله

تحقيق وفاة البرعى

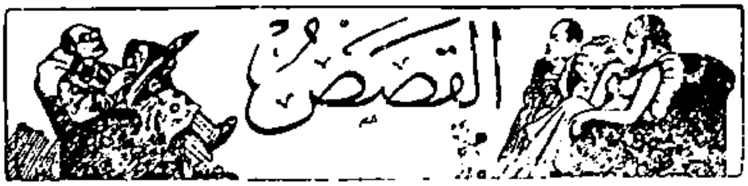
ردا على سؤال الأستاذ عبد السلام النجار بالعدد (٩٢٠) من الرسالة أشكر الأستاذ الزيات على تصويب التصحيف الذى فرط منا أثناء النقل من كتابنا « تاريخ البديع »

وأضيف إلى ذلك أنى لم أخالف الأستاذ النجار فى مصدره إذ أن السخاوى وابن عبد السلام وابن العماد والشوكانى لم يذكروا شـــيئاً عن الشيخ عبد الرحيم البرعى فى وفيات القرن التاسع ولم أخالف السيد محمد زبارة إلا لقصد التوفيق بين الروايات فقد ورد فى فهرس الأدب رقم (٣) بدار الكتب المصرية ما نصه: « ... العارف بالله الشيخ عبد الرحيم بن أحمد البرعى اليمنى كان موجوداً فى القرن الخامس ... »، وذلك ما جعلنى أرجح — أول الأمر — أن وفاة البرعى كانت سنة ٨٠٤ هـ وأحسب أن الناقلين تصحفوا عليه فوضعوا الرقم (٤) مكان الرقم (٨) فحدث الخطأ وحسبوه من رجال القرن الخامس

وقد خاطبت هذا الأسبوع فضيلتى الأستاذين الشيخ زاهد الكوثرى وأحمد خيرى بك عسى أن يكون عندهما بعض المصادر التى تؤيد إحدى الروايتين. وقد أكدا ما ذكره السيد فى ملحقه (٦) من أن وفاة البرعى كانت سنة ٨٠٣ هـ. وصحح الأستاذ أحمد خيرى بك هذه الرواية فى صفحة « ٧٢ » من كتابه « إزالة الشبهات » وكتب إلينا بذلك والكتاب على وشك الطبع

وأخيراً أشكر الأستاذ النجار حيث أتاح لنا فرصة تحقيق وفاة الشيخ البرعى بعد أن اضطررنا إلى التوفيق بين الروايات المضطربة

حامد حفنى داود



السر . .

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

للأستاذ حسين أحمد أمين

تسألينني أيتها الصديقة أن أسرد عليك أكبر الحوادث أثرا في حياتي وأعلقها بذاكرتي .. وبما أنني قد خلفت ورائي الشباب بمراحل طويلة ولم يعد لي من الأقارب من أهتم له ، لذلك لا أجد غضاضة في أن أسر إليك بما تبتغين على ألا تعيديه لأحد ، فإن لم تجدي القدرة على الكتمان فلا بأس برده إذا لم تذكري اسمي

تعلمين أنني قد اتخذت لي في حياتي عشاقا من الكثرة بحيث لا أذكر عددهم . وأنني بادلت بعضهم حبا بحب ، فقد كنت جميلة فاتنة وكان الحب بالنسبة إلى دعامة الروح لا تستغنى عنه كما لا يستغنى الجسد عن التنفس . كنت أفضل الموت على الحياة دون حب ودون أن أشعر بأن هناك من يفكر في طوال الوقت ويرغب في رضاي . . وقد تفخر الكثيرات من النساء بعجزهن عن الحب سوى مرة واحدة وبأنهن إن وهبن قلوبهن إلى رجل فإلى الأبد لا يتحولن عنه . . أما أنا فقد أحببت رجالا كثيرين معتقدة في كل مرة أني ساحبه إلى الأبد وأن عاطفتي نحوه لن تتضاءل . لكنها كانت دائما تتضاءل كالنار التي لا تزودها بالوقود .. وينتهي بها التضاؤل إلى الموت ..

واليوم أذكر لك مغامرتي الأولى . . ورغم أنها بريئة تماما إلا أن في تربتها تكونت البذرة التي تفرع عنها سائر المغامرات

كان زوجي كونت هيرفيه دو — رجلا واسع الثروة من عائلة عريقة ولم أكن أحمل في قلبي له ذرة من الحب .. فالحب في رأيي يتطلب لوجوده الحرية والصعاب . . أما الحب الذي ينظمه القانون ويحميه ، وتباركه الكنيسة فسرعان ما تخمد جذوته ..

وما قيمة القبلة المشروعة إذا قيست بالقبلة المقتصبة ؟

كان زوجي طويلا ضخم الجسم نبيل الطلعة .. غير أنه كان غبيا إلى أقصى حد ، فالمناقشات معه مملة وملاحظاته تافهة وعقله جامد لا يتطور ولا يسمح بدخول أفكار جديدة إليه

كنا نعيش في منزل كبير بالريف وقد مضى على زواجنا عام واحد . . وكانت تحوطه الأشجار من كل جانب . وفي نهاية الحديقة تجد بحيرتين واسعتين مليئتين بالأعشاب المائية وبينهما كوخ صغير بناه زوجي لاستعماله عند صيد البط

وبالإضافة إلى خدم المنزل ، كان يعيش معنا حارس مخلص لزوجي كل الإخلاص تابع له في غدواته وروحاته ، ووصيفة لي تحبني وأحبها كالأصدقاء ، كنت قد أحضرتها معي من إسبانيا ورغم أنها كانت في السادسة عشرة من عمرها إلا أن الناظر إليها يحسبها في العشرين ...

وبدأ في الخريف موسم الصيد . فكنا أحيانا نصطاد في ضيعتنا وأحيانا في ضيعة جيراننا . . وكان البارون دو — على الأخص موضع اهتمامي . . فلما انقطعت زياراته لنا فجأة انقطعت عن التفكير فيه . . غير أني بدأت ألاحظ منذ ذلك الحين تغيرا طرأ على علاقة زوجي بي ، فقد بدا لي غامضا تنتابه الهواجس ولم يقبلني . . ورغم أنه لم يعد يدخل إلى في حجرتي الخاصة إلا أنني كنت أسمع أثناء الليل خطوات مسترقة تقف عند باب الحجرة بضع دقائق ثم تعود أدراجها .. وكنت أسمع وقع أقدام في الحديقة ليلا تذهب وتجيء تحت نافذة حجرتي فلما سألت زوجي عنها نظر إلى نظرة طويلة ثم قال : لاشيء .. لاشيء .. لابد أنه الحارس

* * *

وفي إحدى الأمسيات — بعد أن انتهينا من العشاء — بدأ زوجي في اضطراب نفسي شديد . . وإذا به يسألني بغتة : هلا خرجت معي إلى الضيعة نصطاد ثعلبا اعتاد غشيانها كل ليلة ؟

ودهشت لسؤاله وترددت ، غير أنه كان ينظر إلى في إلحاح شديد فأجبته أخيرا . بالطبع ياعزيزي . .

وأرى لزاما علي أن أخبرك أنني كنت أصطاد الثعالب كالرجال . . فلم يكن هناك ما هو غير عادي في سؤاله . لكنه ظل طيلة المساء يقطع الردهة في خطوات قلقة وقد بدا على وجهه الهم . .

وفي المـاشرة ـ سألني لحـاة : هل أنت مستعدة ؟ فأجبته بالإيجاب وخرجت معه .

وسألته . أأضع في بندقيتي الرصاص أم (الخراطيش) ؟ فحملق في دهشا بعض الوقت ثم قال : فلتستعملي (الخراطيش) ففيها الـكفاية . .

ثم أضاف في لهجة غريبة ما أبردك !

فضحكت قائلة : ما أبردني !؟ وما حاجتي إلى البرودة في صيد ثعلب ؟ ما هذا الذي يشغل فكرك ياعزيزي ؟

واخترقنا الحديقة في سكون حتى وصلنا إلى حافة البحيرتين فوقفنا أمام الـكوخ الذي علينـا أن ننتظر فيه قدوم الثعلب . .

وسألني زوجي أن أدخل أولا ... ثم أحدث فجأة صوتاً ببندقيته أرعبني ... ورآني أرتعش ...

وسمعته يقول : يكفي هذا الاختبار ... باستطاعتك الرجوع ...

فدهشت كل الدهشة وقلت له : إني لم أحضر هنا كي أرجع ثانية ما أغربك الليلة !

قال : كما تشائين ...

وانتظرنا نصف ساعة دون حراك ولم نسمع للثعلب صوتا فسألت زوجي هامسة : أمتأكد أنت أنه يأتي من هذا الطريق؟

فبدا عليه الرعب من قولي هذا وأجاب : أجل ... متأكد تماما

وحفنا السكون ثانية مدة طويلة ... وإذا بزوجي يمسك بذراعي فجأة ويقول : أترينه ؟ إنه هناك ... تحت الأشجار

ونظرت جاهدة فلم أتبين شيئا ... وجعل زوجي يراقبني وأنا أنظر ... ثم بدأ يمد بندقيته وبدأت أحذو حذوه ..وفجأة ، وعلى بعد ثلاثين خطوة رأيت رجلا يبرز في ضوء القمر متسللا وقد حنى جسمه كأنما يفر من شيء ...

وأصابني الفزع فصدرت عني صرخة عالية ... وقبل أن أستطيع حرا كا سمعت صوتاً مدويا ورأيت الرجل يسقط على الأرض كالذئب وقد اخترقته الرصاصة

وجن جنوني فبدأت أصرخ ... وأمسكني زوجي بقسوة من رقبتي ورماني على الأرض ثم جرني نحو الجثة الراقدة على الحشائش وألقاني عليها بقوة كأنما يريد أن يكسر رأسي ...

لقد كان ينتوي قتلي ... لكنه ما إن رفع حذاءه كي يحطم به وجهي حتى رأيت ذراعين يحوطانه ويلقيان به على الأرض

ووقفت بسرعة ... وإذا بي أرى وصيفتي وهي تنهش زوجي بأسنانها كالهرة وتمزق وجهه ولحيته بأظافرها ... ثم رأيتها تتحول عنه فجأة إلى الرجل القتيل وبدأت تقبل عينيه وشفتيه وهي تستخرط في البكاء ...

وقام زوجي ورأى وصيفتي تبكي حبيبها فعرف الحقيقة وركع بنفسه عند قدمي قائلا :

— سامحيني يا حبيبتي . . لقد شككت فيك وقتلت عشيق الفتاة . . لقد ضللني الحارس . .

أما أنا فبقيت أنظر إلى عناق الحي للميت وأستمع إلى بكاء المرأة على حبها . .

. . في هذه اللحظة تبينت أنه من المستحيل أن أظل مخلصة لزوجي . .

حسين أحمد أمين